( السنة الثالثة عشرة )

العدد الأول — يناير ـ مارس ١٩٤٧



# صحيفة دار العلوم

ص ١ ج ١ ع ١٩٣٤ م

تصدرها «جماعة دار العلوم»

كل ثلاثة أشهر

المـــدير — رئيس التحرير

محمد نجيب حنانه — محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى

الاستاذ بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

| | |
|---|---|
| فى القطر المصرى | ٢٠ قرشاً |
| خارج القطر | ٣٠ قرشاً |
| ثمن العـــدد | ٥ قروش |

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٢

إِنَّ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَيْنَ تَحْيَا، لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَتَحْيَا فِي دَارِ الْعُلُومِ»

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده



# الاخلاق فى شعر شوقى

للاستاذ عبد الوهاب عنانى الخطيب

بقية ما نشر فى العدد الثانى من السنة الثانية عشرة

— ٢ —

وإذا منح الشاعر الأصيل مع سمو الخلق رهافة الحس ، ونبالة القصد ، والشعور بالمسئولية الأنسانية، والتبعة التربوية لأبناء جيله والأجيال المقبلة، فإنه يدرك من نفسه أقل الهفوات ولا يخفى عليه فى محيطه الخاص ، ولا فى بيئته العامة أدق الخفايا ـ ولا يزال بما له من السلطان الشعرى ، والقوة الأخلاقية يضرب على أنغام مختلفة الايقاع من لحن محزن يصور نواحى الضعف تارة ، ومن آخر سار يصور نواحى القوة تارة أخرى ، وهذا بالضبط ما تستطيع أن نلمسه فى شعر شوقى من صور لأخلاق بعض معاصريه ،

وأنا مع حضرة الأستاذ الكبير « على النجدى ناصف » عند قوله . فى الوقت الذى كان شوقى يقيم فيه مجده الشعرى ، كانت مصر تقبل وتتجمع للمطالبة بحقها فى الحياة الحرة الكريمة بعد ما أصابها من الارتكاس والتبدد فى الثورة العرابية ، وكان جبار الاحتلال لايعدم ان يجد من ضعفاء النفوس وأصحاب المطامع الشخصية نصراء يمضون إرادته ، ويهابون سطوته ، فكان شعور الناس اذ ذاك مزاجا من الطموح والعزم ، والنقمة وابتغاء الاسباب

هذا الكلام صحيح غاية الصحة ، إلا أنه فى حاجة إلى توضيح من شعر شوقى لنستطيع فيما بعد ـ كما استطعنا فيما قبل — أن ندرك السر فى تلقيبه بشاعر الأخلاق

كان المصريون بعد الثورة العرابية شيعا وأحزابا ، فريق يوالى تركيا بصفتها متبوعة من الجهة الرسمية ، ومن وجهة الخلافة الدينية ، ومن ناحية التشاريف الأدبية التى كانت تمنح من السلطان لكبار المصريين رتبا وأوسمة .

وشيعة تناصر جبار الاحتلال ، وتعتبره صاحب الرأى النافذ فى سياسة البلاد ، والموجه الفعلى لمهام أمورها ، عملا بكلمة « جرانفيل » إن رئيس الوزارة الذى لايصغى لمشورة المعتمد البريطانى فى مصر يجب عليه فى الحال أن يستقيل .

وحزب ينادى « مصر للمصريين » ولا يجد فى هذه الدعوة الصادقة حرجا ولا إعناتا « للباب العالى » وإن كان يجد كل الحرج من ناحية بريطانيا وكان شوقى يرى هذا الرأى ويصرخ به فى قصائد كثيرة

قال العذول خرجنا فى محبتكم ... من الوقار فيا صدق الذى زعما
فما على المرء فى الأخلاق من حرج ... إذا رعى صلة فى الله أو رحما
ولو وهبتم لنا عليا سيادتكم ... مازادنا الفضل فى أخلاصنا قدما
نحنو عليكم ، ولا ننسى لنا وطنا ... ولا سريرا ، ولا تاجا ،ولا علما
هذى كرائم أشياء الشعوب فإن ... ماتت فكل وجود يشبه العدما

وكان هذا الانقسام مجلبة للتفكك ، وعدم الثقة وضعف النفوس ، وشتات القلوب ، والاستغراق فى ذل العبوديه ، وبلاء القيود . لم يخف على شوقى أثره حين قال الهمزة النبوية .

أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة ... فى مثلها يلقى عليك رجاء
أدرى رسول الله أن نفوسهم ... ركبت هواها والقلوب هواء
متفككون فما تضم نفوسهم ... ثقة ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهمو نعيم باطل ... ونعيم قوم فى القيود بلاء

وحين قال فى قصيدته « رمضان ولى » ينعى فيها على النفاق والتخاذل والشقاق ، ويوجه الى الشمم والاباء وجمع الكلمة .

فلعل سلطان المدامة مخرجى　　من عالم لم يحو غير نفاق
وطنى أسفت عليك فى عيد الملا　　وبكيت من وجد ومن إشفاق
لا عيد لى حتى أراك بأمة　　شماء راوية من الاخلاق
ذهب الكرام الجامعون لأمرهم　　وبقيت فى خلف بغير خلاق
أيظل بعضكمو لبعض خاذلا　　ويقال شعب فى الحضارة راق
وإذا أراد الله إشقاء القرى　　جعل الهداة بها دعاة شقاق

وكان فريق من كبار المصريين يتملقون اللورد كرومر ويمتدحون سياسته ويكفرون نعمة مصر وصاحب عرشها ، وينثرون بذور الفرقة بين أبناء البلاد . فكان ذلك مدعاة للنعى من شوقى على أمثال هؤلاء . إنه شاعر يكره النفاق والمنافقين ويحب مصر من صميم قلبه ، ويراها جنة الدنيا لولا من فيها من ذئاب

وكيف ينال عون الله قوم　　سراتهمو عوامل الانقسام
إذا الاحلام فى قوم تولت　　أتى الكبراء أفعال الطغام
فيا تلك الليالى لا تعودى　　ويا زمن النفاق بلا سلام
أحبك مصر من أعماق قلبى　　وحبك فى صميم القلب نام
لأجلك رحت فى الدنيا شقيا　　أصد الوجه والدنيا أمامى
وأنظر جنة جمعت ذئابا　　فيصرفنى الاباء عن الزحام

ويظهر أن النفاق والرياء ، والالتواء ، كانت من الأدواء المستحكمة فى مصر من عهد بعيد ، حتى أن الخديوى اسماعيل حينما عزل كثير من المرجفون فى حقه ؛ وجفاه من كان له صديقا حميما ، وعاداه من كان له وليا كريما ، ولم يقدم له من رجاله الذين أذاقهم طعم الحياة حمدا ولا شكرا ، وإنما أحسنوا الكفران عقدا وحلا كما قال شوقى

أبت الناس فيك للناس إلا ... أن يحاربوا الزمان وصلا وصدا
فرأيت الجميم أول جاف ... ووجدت الولى فى البؤس صدا
ورجالا لولاك لم يعرفوا العيـــش أبوا أن يقدموا لك حمدا
ماراأوا بعدك الأمور ولكن ... يحسنون الكفران حلا وعقدا

ولما نفى شوقى إلى الأندلس ،استراح من شماتة الشامتين ، وخيانة الخائنين لقد كان يشهد بعينيه فى عهد الخديو عباس تواضع المتكبرين ، فلم يلبث أن شهد بعد عزله تكبر الوضعاء . ولم يستطع شوقى أن يكتم ألمه المضاعف من النفى ومن هذا الخلق الزرى فقال فى « قناة السويس »

إن للنفى لروعة ، وإن للنأى للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء بأن نعبر هذا الماء ، حين الشر مضطرم ، والياس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم

وقال فى أندلسيته الرائعة « يانائح الطلح »

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا ... فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا
يبدو النهار فيخفيه تجلدنا ... للشامتين ويأسوه تأسينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ... ولم يهن بيد التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صيغ ولا خلق ... إذا تلون كالحرباء شانينا

وقال فى قصيدته « بعد المنفى » مخاطبا بلاد الأندلس

فأنت ارحتنى من كل أنف ... كأنف الميت فى النزع انتصابا
ومنظر كل خوان يرانى ... بوجه كالبغى رمى النقابا
وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا

على أن نواحى من الضعف الخلقى كان لها أثرها السىء فى المجتمع المصرى فهذا النظام الفاسد فى حياة الأسرة من تعدد الزوجات بدون مبرر ، وما يترتب عليه من نزاع مستمر فى المنزل بين الأبناء والآباء وأزواج الآباء ، وبنى العلات الذين لم تجمعهم رحم ولم يرفرف ملك الحب عليهم ولا على

آبائهم ، قد أدى فى ظرف من الأزمان الى كثرة الانتحار فوجه شوقى الأنظار الى هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة فى الابيات الآتية

لا أرى إلا نظاما فاسدا . فكك العلم وأودى بالأسر
من ضحاياه وما أكثرها ذلك الكاره فى غض العمر
ما رأى فى العيش شيئا سره وأحب العيش ما ساء وسر
ولقد تنهكه نهك الضنى ضرة منظرها سقم وضير
ويلاقى نصبا مما انطوى فى بنى العلات من ضغن وشر
اخوة ما جمعتهم رحم بعضهم يمشون للبعض الخمر
لم يرفرف ملك الحب على أبويهم أو يبارك فى الثمر

وهذه الأمية الضارية أطنابها فى الأمهات المصريات ، وذلك التخلى منهن عن واجب الرعاية المقدس لابنائهن وبناتهن، وذلك الانصراف والانشغال من الآباء عن مثل هذه الرعاية كانت كلها وخيمة العواقب هدامة لما تبنى المدرسة وتنشىء وتهذب من اخلاق . والا فماذا يصنع المعلم اذا كانت هذه هى حال المنزل من الاهمال والتخلى

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا
إنى لأعذركم واحسب عبئكم من بين أعباء الرجال ثقيلا
وجد المساعد غيركم وحرمتمو . فى مصر عون الامهات جليلا
واذا النساء نشأن فى أمية رضع الرجال جهالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما ويحسن تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذى تلقى له أما تخلت أو أبا مشغولا

وجرائم القتل السياسى التى كانت ترتكب فى وضح النهار على أيدى شبان لا وازع لهم من عقل ولا ضمير ولا خلق ، بحجة أن هؤلاء الساسة خونة لبلادهم ففى قتلهم حياة للوطن . هذه الجرائم إن اعتبرها العوام مفاخر

للطائشين الذين يرتكبونها ، فان المفكرين والعقلاء يجدون فيها شرا مستطيرا على الأخلاق والبلاد فى آن واحد . وهذا شوقى - بعد الاعتداء على سعد - يسجل هذه الظاهرة الخبيثة ، وينحى باللائمة على هؤلاء الولدان الذين يلعبون بالنار ، وعلى هؤلاء الغلمان الذين يشتغلون بالسياسة من غير عقل ، موجها الأنظار إلى أن البلاد لاتحيا على القتل ، ولا تعمر بهمة القول وكثرة الثرثرة . وإنما ينهضها الجيش القوى ، والنبوغ البارز فى العلوم والفنون ، والتحلى بأوفر نصيب من الأخلاق .

أرى مصر يلهو بحد السلاح ويلعب بالنار ولدانها
وراح بغير مجال العقول يجيل السياسة غلمانها
وما القتل تحيا عليه البلاد ولا همة القول عمرانها
ولكن على الجيش تقوى البلاد وبالعلم تشتد أركانها
فأين النبوغ ، وأين العلوم وأين الفنون وإتقانها ؟
وأين من الخلق حظ البلاد إذا قتل الشيب شبانها ؟
وأين من الربح قسط الرجال إذا كان فى الخلق خسرانها ؟
إلى الخلق انظر فيما أقول وتأخذ نفسى أشجانها !!

٭ ٭ ٭

استمعنا إلى ما فيه الكفاية من الألحان المحزنة التى وقعها شوقى مصورا نواحى الضعف الخلقى ونتائجه . فلنصغ بقلوبنا إليه وهو يصور الخلق الفاضل وصاحبه هذا التصوير الجميل فى شخص واصف غالى النجيب المهذب الباذل ماله وشبابه فيما يعود على وطنه ولغته بالنفع العميم .

إنما واصف بناء من الأخلا ق فى دولة المشارىء عال
ونجيب مهذب من نجيب هذبته تجارب الأحوال
واهب المال والشباب لما ينفع لا للهوى ولا للضلال

ومذيق العقول فى الغرب مما عصر العرب فى السنين الخوالى

ولنصغ بقلوبنا وعواطفنا إليه وهو يذكر محمد فريد وتضحيته ومكابدته فى الحق وماقاسى فى سبيله من غربة وتشريد ، وجوع ومرض ، وما بذل فى سبيل الله والوطن من طارف المال وتليده ، ولو قد كان فريد قوى الوطنية ضعيف الخلق ، ما جاد بنفسه فى سبيل بلاده صابرا على كل ما ناله من أذى وضر . وما كان فيما بعد أروع تمثال من الحق والتضحية .

فريد ضحايانا كثير وإنما مجال الضحايا أنت فيه فريد

فما خلف ما كابدت فى الحق غاية ولا فوق ما قاسيت فيه مزيد

تغربت عشرا أنت فيهن بائس وأنت بآفاق البلاد شريد

تجوع ببلدان ، وتعرى بغيرها وترزح تحت الداء وهو عتيد

ألا فى سبيل الله والحق طارف من المال لم تبخل به وتليد

وجودك بعد المال بالنفس صابرا إذا جزع المحضور وهو يجود

فلا زلت تمثالا من الحق خالصا على سره نبنى العلا ونشيد

وما من شك فى أن الاقدام فضيلة تصنع البطولة ، كما أن الصبر فضيلة تصنع المجد ، والإتقان فضيلة تصنع الحضارة . وهذه المعانى أوردها شوقى فى قصيدته « رحالة الشرق » مخاطبا الشباب المصرى ، مكرما البطل المصرى . احمد حسنين .

قل للشباب بمصر عصركم بطل بكل غاية إقدام له ولع

أس الممالك فيه همة وحجا لا الترهات لها أس ولا الخدع

يعطى الشعوب على مقدار ما نبغوا وليس يبخسهم شيئا إذا برعوا

أكبرت من حسنين همة طمحت تروم مالا يروم الفتية القنع

وما البطولة إلا النفس تدفعها فيما يبلغها حمدا فتندفع

ولا يبالى لها أهل إذا وصلوا طاحوا على جنبات الحمد أم رجعوا

والمقام يضيق بنا عن تقصى الفضائل الأخلاقية التى أوردها شوقى رثاء وإطراء فحسبنا هذه المثل الرفيعة من الأخلاق النبوية العظيمة من السخاء البالغ ، والعفو المقتدر ، والرحمة الكريمة ، والغضب للحق ، والرضا فيه ، والعدل فى القضاء ، والحفاظ على الوديعة . وإجارة المستجير ، وبر النفس المملوكة ، ورعاية حقوق الأزواج والأولاد ، والوفاء المجسم للأصحاب ، ورعى الذمم والعهود ، والشجاعة المنقطعة النظير ، والحلم الوارف الظلال ، والسطوة المهيبة من كل نفس .

يامن له الأخلاق ما تهوى العلا   منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا . لقامت وحدها   دينا تضىء بنوره الآناء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل   يغرى بهن ويولع الكرماء
فاذا سخوت بلغت بالجود المدى   وفعلت مالا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادرا ومقدرا   لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب   هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فانما هى غضبة   فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته   ورضا الكثير تحلم ورياء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما   جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذ حميت الماء لم يورد ولو   أن القياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله لم   يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرها   ولو ان ما ملكت يداك الشاء
وإذا بنيت فخير زوج عشرة   وإذا ابتنيت فدونك الآباء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما   فى بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته   فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر   وإذا جريت فانك النكباء

وتمد حلمك للسفيه مداريا حتى يضيق بعرضك السفهاء
فى كل نفس من سطاك مهابة ولكل نفس من نداك رجاء

* * *

— ٣ —

وأما أثر الأخلاق فى قيام الدول وسقوطها ، ورقى الشعوب وانحطاطها ، فأوضح من أن يحتاج إلى دليل .

فالعرب لم يكونوا قادرين على أن يسيطروا فى مدى قرن من الزمان على ما بين الصين والمحيط الأطلسى إلا بقوة دينهم وقوة أخلاقهم . فقد منحهم الله عزم الرسل ، ورحمة الملائكة ، وبأس الأسود ، ونوال الغيوث ، وعدلا ثابت الأساس أينما ذهبوا . فالعزم للسيطرة والفتح ، والرحمة للمودة وتآلف القلوب ، والبأس للبقيا وارهاب العدو المتاخم ، والكرم لتذوق لذة العيش ، والعدل لبقاء كيان المجتمع . وضمان حياة المحكوم فى كنف الحاكم ورعايته . يبين ذلك شوقى فى قصيدته «مرحبا بالهلال» .

الله جل ثناؤه بلسانهم خلق البيان وعلم الأمثالا
وتخير الأخلاق أحسنها لهم ومكارم الأخلاق منه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمة والأسد بأسا ، والغيوث نوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما ذهبوا يمينا فى الورى وشمالا
والعدل فى الدولات أس ثابت يفنى الزمان وينفد الأجيالا

ولما سقطت الدولة الأموية فى الشرق لم يوهن ذلك عزم عبد الرحمن الداخل ولم يوئسه من بناء ملك جديد فى الغرب ، فاقتحم كل صعب فى سبيله ، وخاض غمرات لا قبل لغيره بها ، فى علو نفس ، وشمم أنف ، وشجاعة معدومة المثال ، وتنقل فى المعالى تنقل الهلال منزلة منزلة ، حتى بنى دولة من خلقه النبيل . وفى ذلك يقول شوقى :

ذاك والله الفتى كل الفتى أى صعب فى المعالى ما سلك
ليس بالسائل إن هم متى لا ولا الناظر ما يوحى الفلك
زائل الملك ذويه فأتى ملك قوم ضيعوه فملك
غمرات عارضت مقتحما عالى النفس أشم المعطس
كل أرض حل فيها أو حمى منزل البدر وغاب البيهس

٭ ٭ ٭

أموى للعلا رحلته . . . والمعالى بمطى وطرق
كالهلال انفردت نقلته لا يجاريه ركاب فى الأفق
بنيت من خلق دولته . . . قد يشيد الدول الشم الخلق
وإذا الاخلاق كانت سلما نالت النجم يد الملتمس
فارق فيها ترق أسباب السما وعلى ناصية الشمس اجلس

ولا ريب فى أن الانحلال الخلقى الذى أصاب المسلمين فى أواخر أيامهم بالاندلس وما كانوا عليه من فرقة وشتات، وخسة وجبن. كان له أثر أى أثر فى ذهاب ريحهم، وسقوط دولتهم وركوبهم بالبحار نعشا كان تحت آبائهم عرشا يملأ الدنيا بهاء وروعة. وهذا شوقى يرسم لنا الصورة الحزينة فى قوله:

خرج القوم فى كتائب صم عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا بالبحار نعشا وكانت تحت آبائهم هى العرش أمس
رب بان لهادم، وجموع لمشت، ومحسن لمخس . .
إمرة الناس همة لا تأتى لجبان ولا تسنى لجبس .
وإذا ما أصاب بنيان قوم وهى خلق، فانه وهى أس

والحرب دائما تنتهى بهزيمة فريق وانتصار فريق. وللأخلاق دخل فى الهزيمة والانتصار على السواء. وقد حاربت اليونان تركيا فى حياة شوقى مرتين فهزمت فى كلتيهما وانتصر الترك عليها. فقال فى الحرب الاولى:

ظهرت أمير المؤمنين على العدا ظهورا يسود الحاسدين ويتعب
همو ملأوا الدنيا جهاما وراءه جهام من الاعوان أهذى وأكذب
ولم يتكلف قومك الاسد أهبة ولكن خلقا فى السباع التأهب
كذا الناس بالاخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

وقال فى الثانية يذكر قوة سلاح اليونان وكثرة عدوهم، وصبر الترك وشدة بلائهم، واستسهالهم كل صعب، وعدم استعصاء المحال عليهم، وعمل الاخلاق فى نصرهم، وسحر القائد فى الجند، وتطهيره الامة من ذل الاستكانة وفشل التفكك. حتى توحدت الجهود وخرج الشعب بعد الحرب أقوى مما كان قبلها.

وما السلاح لقوم كل عدتهم حتى يكونوا من الاخلاق فى أهب
لو كان فى الناب دون الخلق منبهة تساوت الاسد والذؤبان فى الرتب
لم يغن عن قادة اليونان ما حشدوا من السلاح وما ساقوا من العصب
للترك ساعات صبر يوم نكبتهم كتبن فى صحف الاخلاق بالذهب.
لا الصعب عندهمو بالصعب مركبه ولا المحال بمستعص على الطلب
ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلات إذا الاخلاق لم تصب
من فل جيش ومن انقاض مملكة ومن بقية قوم جئت بالعجب
أخرجت للناس من ذل ومن فشل شعبا وراء العوالى غير منشعب

* * *

ومصر أم الحضارة فى العالم. لم يستطع بنوها الفراعنة أن يقيموا الاعاجيب، ويبنوا الآثار الخالدة الا بما أوتوا من عقول جبارة، وأخلاق متينة، الاتقان البالغ، والهمة العالية أجلى مظاهرها. يصور ذلك شوقى فى قصيدته «توت عنخ آمون».

غدوا يبنون ما يبقى، وراحوا وراء الآبدات مخلدينا

إذا عمدوا لمأثرة أعدوا . لها الاتقان والخلق المتينا
وليس الخلد مرتبة تلقى وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبار . . إذا ذهبت مصادرها بقينا
وسر العبقرية حين تسرى فتنتظم الصنائع والفنونا

ويشير إلى ذلك فى قصفدته « على سفح الاهرام »

لك كالمعابد روعة قدسية وعليك روحانية العباد
أسست من أحلامهم بقواعد ورفعت من أخلاقهم بعماد

والحضارة اليونانية لم تبلغ حظها من الروعة والكمال إلا بالاخلاق والعلم والفن . ولكن الاخلاق كانت صاحبة الاثر البارز فى اليونان بما كان يضرب أساتذتها من المثل الرفيعة . وهذا شوقى فى قصيدته « أرسطاليس وترجمانه » يشير إلى هذا بقوله :

مشاء هذا العصر قف حدث عن العصر القديم
مثل لنا اليونان جيش العلم والخلق القويم
أخلاقها نور السبيل وعلمها نور الاديم
وشبابها يتعلمو ن على الفراقد والنجوم
لمسوا الحقيقة فى الفنو ن وأدركوها فى العلوم
حلت مكانا عندهم . . فوق المعلم والزعيم

وبريطانيا لم تبن ملكها المتطاول فى الشرق والغرب إلا بأخلاق بنيها وما بذلوا من جهد وصبر فى السلم والحروب . مع بعد نظر وكياسة سياسة .

ملك يطاول ملك الشمس عزته فى الغرب باذخة فى الشرق قعساء
تأوى الحقيقة منه والحقوق إلى ركن بناه من الأخلاق بناء
وحاطه بالقنا فتيان مملكة فى السلم زهر ربى فى الروع أرزاء

ذلك أثر الأخلاق عند شوقى فى بناء الأمم . فلاعجب إذن إذا وجدناه

« يدير الأخلاق على معانى البناء وأحواله والبناء وأجزائه » كما يقول الأستاذ الكبير على النجدى ناصف . فإن أخلاق المصريين فى عهده كانت فى حاجة ماسة إلى مثل هذه الروح القوية . ولعل ذلك هو ما حدا بشاعرنا العظيم أن يوجه إلى الشباب المصرى كل عنايته وغوالى نصائحه فى مناسبات لاحصر لها : وذلك شأن من يريد البناء من جديد :

قل للشباب اليوم بورك غرسكم دنت القطوف وذللت تذليلا

***

قل للشباب بمصر عصركم بطل بكل غاية إقدام له ولع

***

قل للشباب زمانكم متحرك هل تأخذون القسط من دورانه

***

يا شباب الديار مصر إليكم ولواء العرين للأشبال

***

ياشباب الفدا وابناى الفدا لكمو أكرم وأعزز بالفداء
عصركم حر ومستقبلكم فى يمين الله خير الأمناء

***

شباب قنع لاخير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

ولقد ذهب الأستاذ فى عرض النصوص الأخلاقية لشوقى مذهبا عجيبا وبنى على هذه النصوص أحكاما غريبة . فالنصوص لها ملحقات تشرحها وتعزها وأعتقد أن فيما أسلفنا كل الكفاية . غير أننا فى حل من توضيح بعض النصوص التى أوردها . فالأبيات التى قالها شوقى فى مملكة النحل .لايتم معناها إلا بما بعدها .

أليس فى مملكة النحل لقوم تبصره

ملك بناه أهله بهمة ومجــدرة
لو التمست فيه بطـــال اليدين لم تره
تقتل أو تنفى الـكســـالى فيه غير منذرة

هذه هى أخلاق النحل التى بنت ملـكها بها . الهمة والدقة والعمل وقوة القيادة . وبيت شوقى فى نهج البردة :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

لا يتم معناه الفنى إلا بالبيتين التاليين :

والنفس من خيرها فى خير عافية والنفس من شرها فى مرتع وخم
تطغى إذا مكنت من لذة وهوى طغى الجياد إذا عضت على الشكم

أفلا يرى حضرة الأستاذ أن شوقى فى هذه الأبيات الثلاثة قد أصبح كغيره من الشعراء فيلسوفا فى شعره أو شاعرا فى فلسفته . وأنه بتكامل النص قد خرج من زمرة صالح بن عبد القدوس وعبد الله فكرى ؟

وإذا أردنا «أن نتدبر طريقة شوقى فى التناول والتصنيع والعرض ونرى إلى أى غاية بلغ » فما علينا إلا أن نعرض هذه الأبيات فى مصرع كتشنر

رضع الأخلاق من ألبانها إن للأخلاق وقعا فى الصغر
ورآها صورة فى أمه ومن القدوة ما توحى الصور
أبعد الساعون يبغون المدى والمدى فى المجد دان لنفر
كجياد السبق لن تغنيهـا أدوات السبق ماتغنى الفطر

ونعود إلى بيتين أوردناهما فى قصيدته عن ابن زيدون

مارأى الناس شاعرا فاضل الخلق طيبا
دس للناشقين فى زنبق الشعر عقربا

ونعود إلى أبياته فى عبد الرحمن الداخل :

أموى للعلا رحلته والمعالى بمطى وطرق

كالهلال انفردت نقلته لايجاريه ركاب فى الأفق
بنيت من خلق دولته قد يشيد الدول الشم الخلق
وإذا الأخلاق كانت سلما نالت النجم يد الملتمس
فارق فيها ترق أسباب السما وعلى ناصية الشمس اجلس

***

واعتقد أن حضرة الأستاذ يوافق على أن هذه الصور لاتقل روعة عن الصور التى أوردها فى الموازنة بين شوقى وغيره من الشعراء السابقين .

وقد كتب الأستاذ الجليل صفحة كاملة فى شرح أبيات لابن الرومى وبيان عبقريته وبراعته وافتنانه . وتلاحق صوره وصدق أمثلته وروائع تخريجه وأنا رجل لا أملك من أناقة البيان مايملك الأستاذ غير أنى أرى أن أبيات ابن الرومى ضحلة لاعمق فيها ولا فلسفة ولا شىء أكثر من المتعارف عند جميع الناس وما جاءت به الشرائع من مجازاة الحسنة بأمثالها والسيئة بمثلها . اما الحقد بمعناه الصحيح وهو الضغينة القلبية العنيفة التى منشؤها ثأر أو ثلم عرض ، أو انتقاص قدر ، أو خروج على سلطان ، أوحسد على نعمة . فإنها لاتعتبر مدحا بحال من الأحوال كما يدعى حلو الحق مرا ، فإن القلوب فى الحالات الأولى لاتشفى بحمل الضغينة ولا بالاساءة البيانية ، وإنما تستريح عندما تدرك بغيتها من النقمة ، والحسد لادواعى له مطلقا . ولا علاج . وإذا كان معن بن أوس قد حاول بكل ما يستطيع الحليم من جهد أن يستل الضغن الذى يضيق به الجرم من قلب قريبة ، وداواه حتى ارفأن نفاره ، فإنه بقصيدته الخالدة .

وذى رحم قلمت أظفاره ضغنه بحلمى عنه وهو ليس له حلم

أجمل مذهبا وأكرم نفسا وأرق بيانا وألطف من حاول علاج الحقد

من الناحية النفسية . وأنا أومن بعبقرية ابن الرومى إلا فى هذه الأبيات فانى لا أعترف له فيها بشيء من الإبداع .

— ٥ —

ونعود بعد ذلك إلى النقد والتحليل . فقد أخذ الاستاذ الكبير على بيت شوقى

وإنما الامم الاخلاق ما بقيت     فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

بعض المآخذ : منها أنه يجعل الامة شيئا واحدا لامزيد عليه فى مقوماتها فالامة فى رأيه أخلاقها . وما هى بها فقط فى الواقع ولكن معها مقومات أخر لابد منها كالعلم والصحة والمال :

وقد رد الدكتور هيكل باشا فى مقدمة الشوقيات على هذه النقطة بقوله :

« فشوقى يرى أن الامم لاتقوم على دعامة غير دعامة الاخلاق ؛ وهو يرى ذلك برغم ماقد يبدو فى بعض الامم القوية من تدهور فى الاخلاق . فالعلم عنده حسن وله فائدته ، والغنى حسن كذلك ، والغنى حسن كذلك ، وسائر أدوات الحضارة تصلح الامم . ولكنها جميعا لافائدة من رقيها وغزارتها اذا انحطت أخلاق الامة . فأما إن قويت هذه الاخلاق فقليل من ذلك كله كاف ليرتفع بالامة الى ذروة المجد والسؤدد

وليس معنى هذا أن شوقى يحقر من شأن ماسوى الاخلاق فله عن العلم والفن والعمل والترحال وغيرها آيات بينات . لكنما معناه أن الاخلاق عنده فى المحل الاول . وهو لايمل من أن يكرر الدعوة الى الخلق الصالح على أنه قوام حياة الامم فى كل قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر »

واذا كان كلام الدكتور هيكل باشا فى حاجة الى توضيح من شعر شوقى فما علينا إلا أن لورد بعض المثل من قصيدته « تكريم »

بالقطن لم يرفع قواعد ملكه   فرعون والهرمان من بنيانه
لكن بأول زارع نقض الثرى   بذكائه وأثاره ببنانه
وبكل محسن صنعه فى دهره   تتعجب الاجيال من اتقانه
وبهمة فى كل نفس حلقت   فى الجو وارتفعت على كيوانه
ملك من الأخلاق كان بناؤه   من نحت أو لكم ومن صوانه
فاتوا الهياكل ان بنيتم واقبسوا   من عرشه فيها ومن تيجانه

ومن قصيدته « البرلمان »

دون الجلاء ودون يانع ورده   خطوات شعب فى القتاد تسار
وبناء أخلاق عليه من النهى   سور ومن علم الزمان إطار
وحضارة من منطق الوادى لها   أصل ، ومن أدب البلاد نجار

وإذن فشوقى لم يهمل ماسوى الأخلاق من مقومات الأمم فى شعره .

وأنا أورد بعض أبيات لشوقى عن الفن تعتبر أروع ماقيل فى تمجيده

لولا ابتسام الفن فيما حوله   ظل الوجود جهامة وجفاء
جرد الفن الحياة وماحوت   تجد الحياة من الجمال خلاء
بالفن عالجت الحياة طبيعة   قد عالجت بالواحة الصحراء
تأوى اليها الروح من رمضائها   فتصيب ظلا أو تصادف ماء
نبض الحضارة فى الممالك كلها   يجرى السلامة أو يدق الداء
إن صح فهى على الزمان صحيحة   أوزاف كانت ظاهرا وطلاء

ويقول حضرة الاستاذ « وكان خيرا من هذا البيت وأضمن لسداد معناه أن يودعه الشاعر مقومات الامة كلها ويبين مبلغ الاحتياج إليها ثم يختص الاخلاق إذا شـاء بما هى أهل له من إيثار . أما أن يقصر الحديث على الاخلاق ويؤتيها وحدها الفضل كله فنقص وقصور . هيهات معهما أن يتحقق المراد بالبيت على وجهه »

والبيت كما هو أمامنا مكون من عشر كلمات ، ولو كان شوقى موظفا فى قسم المعاهدات بوزارة الخارجية البريطانية وأوتى أعظم نصيب من اللباقة السياسية ما استطاع أن يضع مقدمات الامة كلها ويبين مبلغ الاحتياج إليها ثم يختص الاخلاق بما هى أهل له من إيثار فى عشرة كلمات .

والمأخذ الثانى مردود عليه من حضرة الأستاذ ونحن نوافقه على الرد لا على المأخذ . وليس بعد كلام الله ولا كلام رسوله اصطلاح .

والمأخذ الثالث كون شوقى يجعل بقاء الأمة رهينا ببقاء أخلاقها تبقى مابقيت ، وتذهب حين تذهب ، وتلك قضية غير مسلمة ، لأن فضائل أى أمة لا تعنى حتما الفضائل الانسانية ، فقد يكون للأمة أخلاق تدين بها وتنكر التخلى عنها ، وهى فى نفسها رذيلة ممقوتة ، فعرب الجاهلية مثلا كانت لهم أخلاق ذميمة أنكرها الاسلام فما زال بها حتى أبطلها وأحل ضدها محلها . ومع ذلك لم نر الامة ولا قسما منها يذهب بل رأيناها تقبل وتتجمع وتصح وتقوى ثم تنساح فى الارض فتملؤها حضارة ونورا وعدلا بعد ما ملئت همجية وظلاما وظلما » .

وأعتقد كما يعتقد حضرة الاستاذ الجليل أن الاسلام خلق العرب من جديد وأن عرب الجاهلية بأخلاق الجاهلية أمة وعرب الاسلام بأخلاق الاسلام أمة . والاخيرة هى التى أقبلت وتجمعت وصحت وقويت ثم انساحت فى الارض فملأتها حضارة ونورا وعدلا .

— ٦ —

أما بعد . فقد أدى شوقى رسالته الأخلاقية على أتم ما يؤدى شاعر عظيم رسالة عظيمة . وما علينا إلا أن نسير على هذه المثل الرفيعة ونروض أنفسنا على التحلى بمكارم الاخلاق التى أوصى بها الدين الحنيف .

ونختم هذا البحث بالكلمة القيمة التى ختم بها أرسطو كتابه فى علم الأخلاق . مع ضمان الامل فى العمل على تحقيق هذه المبادىء السامية : فى الشئون العملية ليس الغرض الحقيقى هو العلم نظريا بالقواعد . بل هو تطبيقها ففيما يتعلق بالفضيلة لايكفى أن يعلم ماهى . بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها . لوكانت الخطب والكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخياراً ، لاستحقت أن يطلبها كل الناس ، وأن تشترى بأغلى الأثمان . ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيع المبادىء فى هذا الصدد هو أن تشد عزم بعض فتيان كرام على الثبات فى الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقا للفضيلة ، وفيا بعهدها :

ومنى لحضرة الاستاذ الجليل والاديب الكبير على النجدى ناصف تحية ملؤها الاعجاب والتقدير .

وسلام على شوقى فى الخالدين ؟

عبد الوهاب عنانى الخطيب

# الأخلاق فى شعر شوقى

## رد على رد[١]

**للأستاذ على النجدى ناصف**

---

يسرف بعض المعجبين بشوقى فى التعصب له ، كما يسرف بعض خصومه فى التعصب عليه : أولئك يريدون أن ينزله الناس معهم بأسمى من منزلته ، ويقدرونه بأكبر من قدره ، وهم لذلك لا يطيقون أن يسمعوا عنه إلا أحاديث الحمد والاعجاب . وهؤلاء يريدون أن ينزله الناس معهم دون منزلته ، ويقدروه بأصغر من قدره ، وهم لذلك لا يطيقون أن يسمعوا عنه إلا أحاديث الزراية والانتقاص .

وهيهات أن يظفر هؤلاء وأولئك بشىء مما يشتهون ، فالحقيقة أبين من أن تطمس ، وإن تراكبت عليها الأغشية ، وتجمعت من حولها الحجب ، وأقوى من أن تقهر ، وإن تألب عليها الباطل ، وخذلتها الأحوال . وهى على أصحابها عزيزة ، وفى أعناقهم أمانة ؛ لذلك فهم لا يألون جهدا فى نصرتها والدلالة عليها ، حتى تسفر لكل ذى عينين ، ويؤمن بها من كان منها فى شك مريب .

ولقد تمتحن الحقيقة بعض الأحيان بما يغمطها ، ويغير من سمتها ، ويثاب الباطل بما يرفع ذكره ، ويعظم أجره ، حتى يغلب الإشفاق كل غيور ، ويساور اليأس كل مشفق ، ويخيل إليه أن لم يبق فى الأرض إلا الفتن والضلال ، ولكن الذى لا ينبغى أن يكون عليه خلاف ولا فيه ريب أن الظفر آخر الأمر للحقيقة ، والخذلان للباطل وإن طال الزمان .

---

(١) أطلعت إدارة الصحيفة الاستاذ النجدى على نقد الاستاذ الخطيب فأعد هذا الرد عليه ولكن الصحيفة أرجأت نشره فى العدد السابق حتى نشر بقية نقد الاستاذ الخطيب فى هذا العدد .

وكم من علم واتاه الحظ ، وحاباه العصر ؛ فنال أكثر مما يستأهل بل أكثر مما يرجو وآخر أدبر حظه ، وجافاه عصره ؛ فعاش خاملا مغبونا ، وقضى قبل أن يدرك من دنياه أربا ، ثم مالبث الناس بعد أمد طويل أو قصير أن رأوا الحق يعلو ، والباطل يهوى . رأوا هناك أغشية ترفع ، وحجبا تزال ، وصوتا يجهر ثم يمضى فى الجهر حتى يملأ الدنيا دويا ، ورأوا هنا شبحا يتخاذل ، ثم يتحطم ويتضاءل ، ورأوا من حوله ضجة تخفت ، ثم تمضى فى الخفوت حتى تنقطع نأمتها ، ويشملها صمت أصحاب القبور .

ولم يتح لشوقى بعد أن يدرس الدراسة الحقيقة به ، على ما كان له فى حياتنا الأدبية من أثر غير منكور ، فلا يزال علم الناس به ناقصا ، وآراؤهم فيه مشوبة ، وهذا بلا ريب تقصير فى جنب الرجل ، لا ينبغى أن يطول أمده أكثر مما طال ، فعسى الأدباء أن ينشطوا لدراسته ، ولا يتوانوا فى الكشف عن منزلته التى يؤهله لها فنه لا التى تريدها له الأهواء ، تعصبا له أو تعصبا عليه . ويسرنى أنى خطوت فى هذا المجال خطوة ، وليس هنا مقام إعلانها أو الحديث عنها . فحسبى أن أشير إليها ، ثم أتوجه إلى الله بالرغبة الخالصة أن يعيننى على إخراج أثرها عما قليل . وأعتقد أن شوقى رحمه الله كان يكره الغلو ، ولا يرضاه للناس مذهبا ولا مشيرا ، أخذا من قوله:

ليس الغلو أمينا فى مشورته     مناهج الرشد قد تخفى على الغالى

فاذا كان يرحمه الله قد أنكر من بعض خصومه الغلو فى انتقاصه والغض من شعره ، فهو ولا ريب حقيق أن ينكر من بعض أنصاره الغلو فى التشيع له والثناء عليه .

فخير للمسرفين من هؤلاء وهؤلاء أن يدبروا أمرهم ويرفقوا بأنفسهم ، فيروضوها على الهدوء والاحتمال ؛ فقد آن أن يسمعوا عن صاحبهم منذ اليوم كثيراً مما يكرهون . وما يقصد أحد بذلك أن ينغص عليهم ، أو يسىء

إلى أحد منهم ، ولكنها الحقيقة الصريحة يجب أن تقال فى غير مواربة ولا خداع ، وبعض ما يصنعون مع ذلك كاف وزيادة ، وليس منه على كل نفع ولاخير . والله الهادى إلى سواء السبيل . وإن الذين قرءوا مقالى عن «الأخلاق فى شعر شوقى » ، وقرءوا رد الأستاذ عنانى الخطيب عليه ليعلمون أنه من غلاة الشوقيين ، لامن كلامه عن صلته به وصداقته له فقط ، ولكن من جملة رده ومن طريقته فى الرد أيضاً .

فقد أخذ على المقال أول ما أخذ أنه كان لا بد فيه من الحديث عن أخلاق شوقى وأخلاق الناس فى عصره . وهو مأخذ كان يمكن أن يكون صحيحا لو أن مقالى كان موازنة بين الأخلاق فى شعر شوقى ، والأخلاق فى نفسه وبيئته ، لكنه كان لسوء الحظ عن « الأخلاق فى شعر شوقى » ليس غير . أى عن الأخلاق كما رآها الشاعر ، وكما استطاع أن يصورها للناس فى شعره . وفرق بين الموضوعين عظيم . ذاك بحث فلسفى أكثر منه فنيا ، يتجه إلى الفضائل فى شعر شوقى ، فيحصى جملتها ، ويبين أنواعها ، ويسمى كلا منها باسمه الخاص ، ثم يتجه إلى نشأته وبيئته ، يتلمس فيها مصادر تلك الفضائل وأسباب القصد إليها والقول فيها دون سواها . وهذا بحث فنى أكثر منه فلسفيا يتجه إلى الفضائل فى شعر شوقى ، يتعرف مبلغه من التوفيق فى تصويرها ، ومبلغ النقد من الإنصاف حين سماه وحده شاعر الأخلاق .

ولا شك أن بين موضوعنا وبين أخلاق الشاعر وأخلاق الناس فى عصره صلة ، ولكنها ككل صلة بينه وبين شخصية الشاعر ، تتصل به من بعيد ، وتتصل بغيره من قريب ، فتكون به أشبه ، ويكون هو بها أحق . فلو أن شوقى كان فى نفسه ملكا ، وكان الناس من حوله شياطين أو ملائكة مثله ثم لم يقل فى الفضائل شيئا ، أو قال فيها ، ولكن لم يشتهر بها ، وينسب إليها ما عنانا أمره ، ولا فكرنا أن نكتب عنه المقال الذى كتبناه . إذا لتكن

أخلاق شوقى وأخلاق عصره معه ما تكون ، وليكن حظه من الفضيلة وحظ عصره معه كذلك ما يكون . فما لشىء من هذا أردنا ، ولا إليه توجهنا ، وليس لنا فيه نفع ، ولا بنا إليه حاجة فى هذا المقام .

وما أحسب الأستاذ عنانى إلا يعلم ذلك ويؤمن به ، لكن العصبية الغالية قبحها الله ، أنسته علمه ، وزعزعت إيمانه ولم تبال أن تزين له اغتنام هذه الفرصة لامتداح صاحبه ، والإشادة بمناقبه ، مع أنهما ليسا من الموضوع ولا الموضوع منهما فى شىء ، وآنس هو من ذلك راحة نفس وقرة عين ؛ نخف له ، وأمعن فيه حتى جعل له الشطر الأول من رده ، كأننا حين نلنا من بعض شعر الشاعر فى الأخلاق إنما كنا ننال من فضائل نفسه فى حقيقة الواقع . وليس يسعنا على كل حال إلا أن نذكر للأستاذ عنانى غيرته على سمعة صاحبه ، وتجرده للدفاع عنه ولو أنه دفاع لا يقابل هجوما إلا فى الخيال ولا مندوحة لنا مع ذلك أن نستأذنه فى ترك القسم الأول من رده ، لا نعرض له بقول ، لأنه لا يعنينا ولا نعنيه فيما نحن بسبيله الآن .

وأول ما يلقانا به الأستاذ عنانى فى مستهل القسم الأخير من رده — هو هذا الحشد الكبير من شعر شوقى فى المدح والرثاء ، وفى وصف النصر والهزيمة ، وفي غير أولئك من مقاصد الشعر ، يريد أن يقول . إن شوقى قد صنع بها للأخلاق مالم يصنع الشعراء ، فان يكن ذلك فعجيب ، فإنما المراد هنا بحكم التفرقة والتمييز بين الأشياء — شعر شوقى فى الأخلاق خاصة ، يرسله حكمة أو مثلا . أما شعره فى الأخلاق كما يصفها فى ممدوح أو مرثى ، أو فى جيش مظفر أو منهزم فليس هناك . لأنه لا يمس الأخلاق قصدا ومن طريق مباشرة . وهو بعد عمل مشترك . لكل واحد من شعراء المدح والرثاء والوصف منه نصيب . فلو كان له حساب فى المفاضلة بين شعراء الأخلاق لكان غير شوقى أحق منه بلقب شاعر الأخلاق ، فليس هو بأمدح

الناس وأرثاهم وأوصفهم ، ولا هو بأكثرهم فى ذلك قولا ، ولا أطولهم فيه نفساً ، ولا أوسعهم مجالا ، بل ربما كان من الخير ألا يذكر شعراء المدح والرثاء حين الكلام عن الفضائل ، فقد أساءت جملتهم إليها أكثر مما أحسنت

ويرى الأستاذ عنانى بعد هذا أن ليس بعجيب أن نجد شـــوقى يدير الأخلاق على معانى البناء وأحواله ، والبناء وأجزائه كما قلت فى بعض مآخذى عليه ، ويعلل ما ذهب إليه من ذلك بأن أخلاق المصريين فى عصره كانت فى حاجة ماسة إلى مثل هذه الروح القوية . ولك أن تسأل الأستاذ إن شئت: أى روح هذه التى يشير إليها ، ثم يعود فيصفها بالقوة ؟ أما أنا فأسأل سؤالا ثانيا لا بد من توجيهه إليه ، أسأل عن البناء : أليس فى الوجود شىء آخر أشد منه قوة ، وأمنع منالا ، فيتخذه شوقى مداراً لشعره فى الأخلاق حين تكون مصر لعهده فى حاجة إلى مثل هذه الروح القوية ، كما يقول ، على أن الشاعر إذ يدير شعر الأخلاق على معانى البناء لا يتخير نوعا منه موصوفا يقيس إليه ، ويشبه به ، ولكنه يذكره مطلقا شاملا ، وهذا يعنى أنه لم يرد معنى القوة ولا فكر فيه ، ولكن أراد معنى التراكب والأقامة أوسع ما يكون . وسؤال أخير لا أرى بدأ من سؤاله هنا أيضاً . فما رأى الاستاذ فى الشاعر يكرر معناه فى موضوع ما غير مختلف فى الجوهر والصميم ، ويؤلف صورة من فكرة واحدة ثم يزجيها على هيئة واحدة كذلك أو هيئات متماثلة فى الألوان والأشكال ؟ وهل يرى أن من العدل وبراءة النقد أن يقول قائل عن مثل هذا الشاعر : إنه قد صنع لموضوعه شيئا ذا قيمة فضلا عن أن يقال إنه قد بذ فيه الأنداد والنظراء ؟

ويعجب الاستاذ عنانى لطريقتى فى رواية النصوص الأخلاقية ، ويردف تعجبه هذا بما يدل على أنى تعمدت اقتضابها لأصل إلى غايتى ، التى لا ترضيه ولا يوافقنى عليها ، أى إلى غمط شوقى والنيل من شعره ، فإذا ما مضى يستشهد

لما يقول — لم يذكر لنا غير النص الذى رويته من قصيدة مملكة النحل ، والذى رويته من نهج البردة . وأود قبل كل شىء أن أغفر للاستاذ عنانى هذه التهمة ، لأنى على ثقة أنه لم يتعمدها ، ولكنه انساق إليها بتحريض العصبية لصديقه ، ثم أعود إلى ما كنت فيه . قال الأستاذ عنانى : فالأبيات التى قالها شوقى فى مملكة النحل لا يتم معناها إلا بما بعدها ، ثم روى على الأثر هذه الأبيات :

أليس فى مملكة النحـــل لقوم تبصره
ملك بنــاه أهـله بهمـة ومجـدره
لو التمست فيـه بطـــال اليـدين لم تره
تقتل أو تنفى الـكسا لى فيه غير منذرة

وهذه الأضافة كما يرى القارىء لا تتكلم عن الأخلاق كما نريدها ، ويريدها معنا عنوان البحث ، ولكنها تصف الأسس التى تقيم النحل ملكها عليها ، والسياسة التى تلتزمها فى حياتها ، تقصيا لموضوع القصيدة ، ومتابعة للقول عن النحل ، ثم تلتفت فتتساءل : أليس للناس فى هذا تبصرة وذكرى. وهذا شىء وتصوير الأخلاق شىء غيره . والدليل على أن شوقى إنما أراد بهذه ا بيات مجرد الدرس واستخلاص العبرة أنه يذكر فيها أن النحل تأخذ الـكسالى من أنفسها بالقتل أو النفى من الأرض ، دون أن تنصح لهم أو تعذر إليهم :

تقتل أو تنفى الـكسا لى فيـه غير منـذرة

ويذكر عنها بعد ذلك أنها تولى عليها أنثى منها ، فتسير فيها سيرة القياصرة المستبدين :

تحكم فيـه قيصره فى قومها موقره
من الرجال وقيـو د حكمهم محرره

وأعتقد أن شوقى لا يقر أمثال هذه المبادىء ، فضلا عن أن يدعو اليها ويريد الناس على الاخذ بها فالمعروف أنه كان امرأ عطوفا ، يفيض رحمة وبراً ، وأنه كان من الداعين إلى حكم الشورى ، والمؤمنين بصلاحه ، وله فى ذلك قصائد مشهورة .

أفرأى الاستاذ عنانى أنى حين تركت هذه الأبيات إنما تركتها لأنها فقط لا تتصل بموضوعى ، وأنه حين يضيفها إلى ما جئت به واقتصرت عليه إنما يسىء إلى صاحبه ، ويحمله تبعة ما ليس من طبعه ولا رأيه .

ويمضى الأستاذ عنانى فى الحديث عن طريقتى فى إيراد النصـــوص الأخلاقية ، فيقول عن البيت الذى جئت به من نهج البردة :

صلاح أمرك للاخلاق مرجعه   فقوم النفس بالاخلاق تستقم

لا يتم معناه الفنى إلا بالبيتين التاليين :

والنفس من خيرها فى خير عافية   والنفس من شرها فى مرتع وخم
تطغى إذا مكنت من لذة وهوى   طغى الجياد إذا عضت على الشكم

وعندى أن البيت الأول من هذين البيتين لا يعدو أن يكون شرحا لغير غامض ، أو تفصيلا لغير مجمل ، فهو زيادة فى العدد لا فى الفكرة ، لأنه إذا كانت الفضائل كما يقول البيت الذى جئت به ، تصلح أمور الناس ، وتقوم نفوسهم ، كان معنى ذلك أن الناس بخير ما تمسكوا بها ، فإذا تخلوا عنها صار أمرهم إلى الشر والفساد . وهذا كل ما يقوله البيت الذى يليه ، فلا جديد إذا ولا ابتكار . أما البيت الأخير فمن قول البوصيرى :

من لى برد جماح من غوايتها   كما يرد جماح الخيل باللجم

أفرأى حضرة الأستاذ أن صاحبه فى هذه الأبيات ليس كأحد من المتقدمين فى شعر الأخلاق فيلسوفا فى شعره ، أو شاعرا فى فلسفته ؟

يروى الأستاذ بعد ذلك ثلاثة نصوص من شعر شوقى ، ثم يذكر أنه

يعتقد أنى أوافقه على أنها تحتوى صوراً لاتقل عن صور النصوص التى رويتها لغير شوقى ، وانتهيت بها إلى تفضيلهم عليه . وللأستاذ عنانى أن يعتقد ما يشاء ، أما الواقع فهو أنى لا أرى نصوص شوقى تدنو شيئا من تلك النصوص بله أن تجرى معها فى مجال .

أما النص الأول فليس فيه من صور الأخلاق غير أن كتشنر رضعها من أمه لبنا ، ورآها فى شخصها مثالا ؟ وهذا بعينه ما تقوله العامة فى هذا المقام ، ولا داعى لإيراده فهو متعالم مشهور . وأما النص الثانى فليس مما نحن فيه ؛ لأنه لم يجىء عن الأخلاق إلا بلفظها إذ يقول عن ابن زيدون :

ما رأى الناس شاعرا فاضل الخلق طيبا

أما النص الثالث فالصورة التى فيه من قوله تعالى : وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية . ومن قول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ويقول الأستاذ عن الأبيات التى رويتها لابن الرومى فى الحقد : إنها ضحلة ، لاعمق فيها ولا فلسفة ... وليس يكفى أن يقول قائل عن شىء : إنه كذا وكذا ، أو ليس كذا وكذا ( بدون إبداء الأسباب ) حتى يكون على ما قال بل لابد فى ذلك من البيان والاحتجاج والتعليل ، ثم يتكلم حضرته بعد هذا كلاما فلسفيا عن الحقد ومعناه ، والحقد وأنواعه ، ولاشأن للموضوع به ، فإنما الموضوع أن ابن الرومى دافع عن الحقد وأصحابه دفاعا شعريا فلسفيا رائعا ، يدل على براعة وعبقرية ، هما بعض ما أجمع الناس عليه من مزاياه . وما أرى الأستاذ عنانى بما فعل إلا متكلفا ما ليس بلازم أن يتكلفه، لولا العصبية لشوقى . فالغض من ابن الرومى شىء ، وبراعة شوقى أوعجزه شىء آخر ، وقد يسقط ابن الرومى فى بعض شعره سقوطا فاحشا ، ولكن

هذا لا يرفع شوقى شيئا ، ولا يجدى عليه من النفع فتيلا ، إلا إذا كان حضرة الأستاذ يرى أن المقادير قد ألقت بالشاعرين فى كفتى ميزان ، وجعلت انتقاص أحدهما رجحانا للآخر وزيادة فى وزنه .

كنت قلت عن بيت شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إنه قد نال من اتساع الشهرة ، وذيوع الرواية أكثرها مما يستأهل ، وأحصيت عليه ثلاثة مآخذ كشفت بها عن قيمته الحقيقية أولها أنه يجعل الأمة فى وجودها وبقائها رهنا بالأخلاق ليس غير ، مع أن هناك عوامل أخرى لها فى كيان الأمة شأن أى شأن كالعلم والصحة والمال ، فلم يوافق الأستاذ عنانى على هذا وساق إلى ردا عليه قول الدكتور هيكل باشا فى مقدمة الديوان عن رأى شوقى فى الأخلاق . وقد نقله الأستاذ عنانى فى القسم المنشور من رده فى هذا العدد ، فلا حاجة إلى إعادته هنا . ولا أقول للقارىء الكريم : اقرأه ، واعجب ، ولكنى أقول له : اقرأه ، واعذر ؛ فما كان الأستاذ عنانى ليأخذ على هذه الخطة ، ولا ليتورط فيما تورط فيه لولا العصبية الغالية قاتلها الله . على أننا إنصافا لها ، نذكر أنها بالإضافة إليه ليست شرا محضا ، ولا قرين سوء فى كل حين ؛ فقد تحمل التبعة عنه ، ولا تحول بينه وبين الاعتذار .

نعم ، فقد اتخذ الأستاذ عنانى سبيله إلى المغالطة ، وحمل كلام هيكل باشا ما لا طاقة له به ، فأنا إنما أنقد بيتا رأيته معيبا ، وأقيم الحجة على قصوره ، وغفلة النقد عنه . فلا شأن لى إذا برأى شوقى فى الأخلاق ، لأن هذا الرأى لا يلتمس فى بيت واحد ، ولكن فى جملة شعر الأخلاق ، وآية ذلك أنى رويت فى آخر مقالى مقطعة له فى الأخلاق ، وقلت فى التمهيد لها هذه العبارة : وقد استطاع شوقى فى قصيدة ذكرى المولد أن يتلافى هذه المآخذ

فى مقطعة منها ، عرض فيها للأخلاق وآثارها بالحديث والبيان . ثم قلت فى خاتمة المقال : فللإيجاز بلا شك دخل كبير فى هذا القصور ، الذى ذكرنا فى بيته المشهور .

أما هيكل باشا ، فيعرض رأى شوقى فى الأخلاق ، ويدل على مبلغ ثقته بها فى بناء الأمم ، فأنا فى جانب ، وهو فى جانب آخر ، والمدى بيننا بعيد ، والنتائج التى نتتهى إليها لا محالة متخالفة ، فكيف إذا يتصور أن يكون خلافه لى ردا على ، أو خلا فى له ردا عليه ؟ وقد كان هذا كما ترى كافيا جدا فى إغفال كلام هيكل باشا وإخراجه من الميدان ، ولكنى مع ذلك أرغب إلى القارىء أن يتفضل بالرجوع معى إليه ، وأن يصبر على معاودة النظر فيه ، لنرى ما يدل عليه ، والغاية التى يقصد إليها صاحبه به . ألق بالك غير مأمور إلى هذه الكلمات منه : فشوقى يرى أن الأمم ... وهو يرى ذلك برغم ... فالعلم عنده ... وليس معنى هذا أن شوقى .... الخ الخ . فالرجل كما ترى يستخلص ، ويعرض ، ولا مزيد . وأين هذا مما يريد الأستاذ عنانى أن يكون ؟

ولا محل إذا لما يأتى به الأستاذ بعد ذلك من شعر شوقى لتوضيح كلام هيكل باشا فيما يقول ، فإنما هو توضيح لغير ذى موضوع كما يقولون .

وقلت فى ختام هذا المأخذ : وكان خيرا للبيت ... أن يودعه الشاعر مقومات الأمة كلها ... ثم يختص الأخلاق بما هى أهل له من إيثار ، ففهم حضرة الأستاذ أنى أريد الشاعر أن يقيم فى وزارة الخارجية البريطانية ، يتلقى عن أساطينها مقومات الأمم وطريقة بنائها ، حتى إذا حذقها قصد إلى الشعر ، فنظمها وآثر الفضائل عليها فى بيت مؤلف من عشر كلمات . وأؤكد لحضرة الأستاذ أنى أبصر بمآزق الشعر ، وصعوبة مواجها من أن أريد هذا أو أفكر فيه ، وأنى أرفق بصاحبه ، من أن أجشمه هذا أو بعضا منه .

ولكن الذى أريد أن يجمع أساس الملك كما جمع بعضها غير مضطر ولا مضيق عليه فى الشطر الأول من بيته :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهمو لم يبن ملك على جهل وإقلال

وأن يصنع للفضائل من بين هذه الأساس مثل ما صنع للصدق من بين العادات غير مضطر ولا مضيق عليه أيضا فى بعض الشطر الأخير من بيته

والصدق أرفع ما اهتز الملوك له وخير ماعودا بنا فى الحياة أب

أفرأى الأستاذ أنى لم أكلف شوقى شططا حين اقترحت ما اقترحت لأصلاح البيت ؟ وكان ثانى المآخذ على البيت أنه يعنى بالأخلاق الفضائل وعندى أنه تخصيص لا ضرورة إليه ، ولا فائدة منه ، وبخاصة أن الاصطلاح العلمى جرى على تفسير الأخلاق بالطبائع مطلقا ، وأن الاستعمال الأدبى لايخالف الاصطلاح فى ذلك . وقد جئت له بأمثله من كلام الله ورسوله وكلام شاعر قديم . وقد رد الأستاذ عنانى على ذلك بقوله : ونحن نوافقه على الرد لا على المأخذ ، وليس بعد كلام الله ،ولا كلام رسوله اصطلاح.

فالأستاذ كما ترى — لم يشأ أن يبين لنا كيف استطاع أن يقلب استدلالنا فيجعله علينا لا لنا , ويخيل إلى أنه رأى فى مجرد استعمال القرآن والحديث لكلمة خلق فى مقام المدح — آية على صحة استعمال شوقى وخطأ رأيى فى هذا الاستعمال فإن كان هذا — وليس يبدولى وجه سواه فعجيب ، لأنه يكون قد نظر إلى بعض التركيب ، وأعرض عن بقيته ، كالذى ينهى عن الصلاة بآية : يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى :

فالله تعالى يقول لرسوله : وإنك لعلى خلق عظيم . والرسول يقول : ليس شىء أثقل فى الميزان من حسن الخلق ، فيخصص الله الخلق فى الآية بصفة العظمة ، ويخصصه الرسول فى الحديث بوصف الحسن . ومعنى ذلك أن الخلق وحده لا يدل على أكثر من معنى الطبيعة ولما كان

المقام للمدح فى الآية ، وتحبيب الفضيلة فى الحديث - لم يكن بد من زيادة صفة كاشفة ، معينة للمراد هنا وهناك . ولو كان معنى الخلق مرادفا لمعنى الفضيلة لم يكن هناك داع للوصف بالعظمة ثم الوصف بالحسن .

وأما المأخذ الثالث فهو أن البيت يجعل بقاء الأمة رهنا بأخلاقها : تبقى ما بقيت ، وتذهب إذا ذهبت . ورأيى أن هذا على إطلاقه ليس بصحيح فقد ذهب الأسلام بكثير من أخلاق عرب الجاهلية ، فلم تذهب بذهابها ولكنها جاءت ، وصحت ، وملأت الدنيا حضارة وخيرا . ورد الأستاذ عنانى على ذلك هو : أن الأسلام خلق العرب من جديد ، وأن عرب الجاهلية بأخلاق الجاهلية أمة ، وعرب الأسلام بأخلاق الأسلام أمة .

ولقد نقبل هذا من الأستاذ عنانى شعرا وخيالا ، يراد به أن الأسلام قد أصلح نفوس العرب إصلاحا أصيلا شاملا ، حتى كانه خلقها خلقا جديدا ولكنى لا أظن أن أحدا يمكن أن يقبله منه حقيقة جارية ، تمثل الواقع من الأمر تمثيلا لاتجوز فيه . وإلا فقد قبل أن عمر بن الخطاب مثلا كان فى الجاهلية شخصا ، وأصبح بالأسلام شخصا آخر ذهب الله ببنيته الأولى مع دينه الأول ، وجاء ببنية له جديدة مع دينه الجديد .

أما بعد ، فما رأى حضرة الأستاذ عنانى الآن فى قوله : إن الحقائق يجب أن تمحص قبل أن تجرى بها أقلام ... ؟ أليس يرى أن الأمر فيما يتعلق بى كان عند قوله ، فلم يجر قلمى فى مقالى عن شوقى بجملة أو لفظة من جملة دون نقد وتمحيص ، وأن الموضوع لم يفد من هذا الجدل الذى أثاره غير المعاودة والتكرار فى أكثر الأحيان .

على أننى أشكر لحضرته حسن ظنه، وبراءة قصده . وسلامة دواعيه ، وسلام له وإكبار ؟

على النجدى ناصف

# الأدب العربى

## ما هو ، وما تاريخه ، وكيف كان تدوينهما ؟

للأستاذ السباعى بيومى
أستاذ تاريخ الأدب بكلية دار العلوم

---

## ما هو ، وما تاريخه ؟

إنه لحرى بنا قبل التعرض للتعريف بالأدب أن نعرض لكلمة الأدب نعالجها مفردة غير منسوبة لشيء ، معالجة تسايرها منذ الطفولة إلى أن اكتمل معناها وصار إلى الحد الذى نعرفه لها الآن ، والذى عنده وقعت نسبتها إلى اللغة حتى إذا ما تعرضنا لمعنى الأدب نكشف عنه ونبين الغرض منه كان قولنا واقعاً على أساس وألفينا ذلك المعنى سهل المأخذ على آذاننا وطيد الاستقرار فى أذهاننا .

ولعل أول معنى عرف لكلمة الأدب هو وقوعها مصدراً لأدب يأدب اللازم من باب ضرب بمعنى صنع طعاما يحتفل به ويدعو إليه والاسم من ذلك المأدبة ، على أن هذا الفعل استخدم من الباب نفسه - ويغلب أن يكون ذلك فى الوقت عينه - بمعنى دعا إلى مأدبته ومن ذلك قول طرفة بن العبد ويستشهد به على المعنيين

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى    لا ترى الآدب فينا ينتقر

يقول نحن فى المشتاة أى الجدب ندعو الدعوة العامة وهى الجفلى فلا ترى الآدب فينا أى صانع المأدبة أو الداعى إليها ينتقر فى دعوته أى يختص بها فريقا دون غيره ، والنقرى ضد الجفلى .

مكثت الكلمة على هذا المعنى بشعبتيه السابقتين العصر الجاهلى كله تقريبا ، حتى إذا ما كان قبيل الاسلام تخطت متعدية ومن باب ضرب أيضاً إلى معنى آخر هو التهذيب والرياضة فقيل أدبه يأدبه بمعنى هذبه وثقفه . كما قيل أدبه بالتشديد على سبيل المبالغة والتكثير بمعنى علمه وبمعنى عاقبه على إساءة ، لأن العقاب مما يحقق معنى الأدب على هذا الوجه، وهو كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان فى فضيلة من الفضائل ، ومن ذلك قول عتبة بن ربيعة لابنته هند وهو يصف لها أبا سفيان بن حرب بعلا على غير تسمية « يؤدب أهله ولا يؤدبونه » ، وقولها فى الجواب عن ذلك « إنى لأخلاق هذا لوامقة وإنى له لموافقة وإنى لآخذته بأدب البعل مع لزوم قبتى وقلة تلفتى » .

ولما أن جاء الاسلام بتعاليمه الداعية إلى مكارم الأخلاق انتشر هذا المعنى وشاع ، وأكثر الناس استعماله أيما إكثار وبخاصة بعد أن قال النبى صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » . ثم توسعوا فى كلمة الأدب فأطلقوها على كل ماله أثر فى التهذيب وحضوا لذلك على التأدب بالمأثور ولا سيما الشعر لما فيه من الدعوة إلى المكارم والتسابق إلى المحامد كما قال عمر ابن الخطاب لابنه رضى الله عنهما « يابنى انسب نفسك تصل رحمك واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك » وكما قال معاوية « اجعلوا الشعر أكثر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ، ومواضع إرشادكم » . وكما قال عبدالملك ابن مروان لمعلم ولده ، « أدبهم برواية شعر الأعشى ، فانه قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره » . ولقد ازدادوا توسعا فى معنى تلك الكلمة حتى جعلوا الأدب يشمل ناحية الرذيلة كما شمل الفضيلة لأن فى تناوله الأولى بالترغيب عنها والتبغيض فيها حضا غير مباشر على الترغيب فى الثانية والتحبب إليها ، ثم بالغوا فى هذا التوسع حتى شمل الأدب المأثور جميعا ، وبهذا انتقلت كلمة الأدب إلى معنى الظرف فى الخلق وحسن التناول للقول ، كما انتقلت كلمة

التأديب إلى العمل فى سبيل ذلك ، وطاوعتها كلمة التأدب حتى قيل أدبت فلانا فتأدب ومن ثم نشأ الفعل أدب يأدب من باب كرم فعل السجايا والطباع وأطلقت كلمة الأديب على ما حسن أدبه وبدأ ظرفه كما قال سالم بن وابصة من قصيدة يحض فيها على مكارم الأخلاق .

إذا شئت أن تدعى كريماً مكرما أديباً ظريفاً عاقلا ماجداً حراً
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالا لزلته عذراً

ومن هنا بدأت كلمة الأدب تنحرف عن معناها اللغوى إلى هذا المعنى الاصطلاحى .

ولما أخذ القوم فى مزاولة بعض العلوم من دينية ولسانية آخر العهد الأموى ، انحازت هذه الكلمة إلى حذق علوم اللغة لما لها من الأثر فى تقويم اللسان واستكمال أداة البيان ، ثم كان تقدم العلوم وارتقاء المعارف أيام الدولة العباسية ، بما حدث من تقسيم وتفصيل ، واستجدمن ترجمة ونقل، فجعل التأديب مهنة تصدى لها المؤدبون وتصدرهم فيها الأئمة من الرواة والعلماء وقصر الأدب على مأثور اللغة من شعر ونثر ، وعكف الناس على دراسته بهذا المعنى حتى وضعت له كتب خاصة عرفت بكتب الأدب كما عرف غيرها بكتب الدين مثلا ، وجارت كلمة الأدب فى ذلك كلمة الأديب فوسم بها كل من حذق الأدب على هذا الوجه . وعرف من سائر العلوم ما هو للأدب وسيلة أو للأدب به علاقة وله منه فائدة ، إذ لا يجمل بالأديب أن يكون من غير الأدب عاطلا ، فإن الأدب ثقافة خاصة لها حاجة وبها افتقار إلى أن ترتكز على ثقافة عامة بدونها يقل بهاء الأدب وتذهب حلاه ، ولكنهم مع هذا لم يتجاوزوا كثيرا مأثور اللغة فى رواياته المنبثة على أيدى الرواة ، وفى شرحه والافادة منه على أيدى الأدباء ، فبقيت كتب الأدب ما بين كتب رواية تخلص للمأثور مجردة، إلى كتب رواية تبحث فى معناه إجمالا أو تفصيلا على

ماقد يشوب هذه الأخيرة من أبحاث لغوية أو نحوية وصرفية تخرجها عن الناحية الأدبية الصرفة وتجعلها بالانتساب إلى الناحية العلمية أحرى .

بهذا استمرت الأبحاث جامدة عند معنى الأدب دون تاريخه الذى لا يتحقق بغير التحليل والاستنباط ، وتتبع أطوار المأثور بأنواعه ضعة وارتفاعا ، وتلمس العلل لذلك والأسباب ، والانكباب على دراسة البيئات من عامة وخاصة لمعرفة ما أنتجته فى ذلك التاريخ من آثار ، إذ تاريخ الأدب وهو حياته يعتريه ما يعترى حياة الأمم فى كل مظاهر التاريخ السياسى العام ، نعم إن المتقدمين فى ذلك العهد العباسى وبعده قد عالجوا أبحاثا هى من تاريخ الأدب فى الصميم ، كالموازنة بين شىء فى عهدين أو بين شاعر وآخر جملة أو فى قصيدين ، وكالكلام فيما طرأ على اللغة بالاختلاط ، إلا أن ذلك لم يتناول فى مجموعه كل ما لحياة الأدب من تاريخ ، كما لم ينسجم مرتبا فى سلك النظام الذى ينبغى أن تكون عليه تلك الأبحاث ، فلم يزل تاريخ الأدب على تلك الحال من النقص فى بعض وجوهه، وانتثاره على غير شخصية قائمة فى بطون الكتب ، إلى أن هب المستشرقون يضعون أسسه ويرفعون قواعده ، وتوافروا على أبحاثه يثبتون أصولها ويفرعون الكثير من فروعها إلى أن أوصلوه إلى صورة متميزة قائمة ، فاذا هو كما نراه الآن علم ذو نظام وترتيب وتقسيم وتبويب ، وكان لهم فى ذلك طريقان ، إما دراسته موضوعا موضوعا يتنقلون بكل موضوع من عصر إلى عصر حتى يستتم أطواره ويستكمل ألوانه وهذا على غنائه قليل ، وإما دراسته عصرا عصرا يتناولون فى كل عصر موضوعات الأدب واحدا واحدا كما هى الحال فى التاريخ السياسى العام وهذا هو المتبع والكثير .

فعل المستشرقون ذلك وحينما أنشئت دار العلوم على نظارة على مبارك باشا للمعاوف المصرية إذ ذاك كى تنهض باللغة العربية فى بلد انتهت إليه زعامة الناطقين بالضاد ، كان لزاما أن يكون الأدب وتاريخه من أول ما يعنى

بدراسته فى هذا العهد الجديد وفعلا كان فعهد بذلك أول الأمر إلى طائفة من الأدباء لعل أكثرهم غناء كما هو بلا شك أبقاهم أثرا المرحوم الشيخ حمزة فتح الله صاحب المواهب الفتحية باكورة ما ألف بالعربية فى هذا الباب ، لكن الشيخ طيب الله ثراه نظر إلى الأدب كأنه فن لا يستند إلى علم أو كأن دراسته بعيدة عن تاريخه كافية فى تكوين الأديب ، فنهج فى مواهبه نهجا هو إلى دراسة الأدب أقرب منه إلى دراسة تاريخه ، فإنه لم يكد ينتهى فى كتابه من تصديره ببضعة أبحاث عامة فى اللغة على الطراز القديم حتى انتقل إلى المأثور يؤدب به الطلاب تأديبا جعل دعائمه الأربع ، القصائد فالمحاكمات فى الشعر ثم الرسائل فالخطب فى النثر ، فشرح عشر قصائد أجرى بعدها عشر موازنات ثم ساق من بعدهما عشر رسائل أتبعها بمثلها من الخطب ، دون أن يتقيد فى ذلك بعصر معين أو يجرى على سنن خاص ، إذ كان يهمه كما سبق الالمام بطائفة من المأثور تشرح وتدرس كما يتطلب المعنى ويقتضى الاستطراد ، على أنه لا يبعد أن يكون رحمه الله قد سيق إلى ما فعل لا مدفوعا بتلك النظرة بل بما تملكه من حب القديم يجرى على سننه ويهتدى بهديه ، وبخاصة إذ وجد طريقه معبدة أمامه ، فى حين كان الجديد لا يزال مغلق السبل غير واضح الأعلام ، ولهذا لم تكد دراسة الأدب وتاريخه تسند إلى المرحوم حسن أفندى توفيق أحد أبناء دار العلوم الذين زاولوا التعليم والتعلم حقبة فى ألمانيا مهد الاستشراق عامة وفى العربية خاصة حتى أبرز لنا صورة لتاريخ الأدب هى على صغرها يصح أن تكون بحق النموذج الأول فيه ، ويجب على كل دارس له من بعده مهما أبدع وفصل أن يكون موقفه منه موقف الحريرى فى مقاماته من البديع حيث يقول على سبيل التمثيل:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

## كيف كان تدوينهما

عرف الأدب بمعناه الاصطلاحى البدائى فى صدر الاسلام كما تقدم، ولما جاء العهد الأموى فاقت عناية الخلفاء به كل عناية، وشغلت من نفوسهم المحل الثانى بعد المهام السياسية إن لم يكن الأول معها، ذلك بأنها عون عليها وبأنهم رأوا تثبيت ملكهم فى إحياء العصبيات، فكان فى هذا إحياء الأدب القديم مع الجديد وإعادة مذاكرته ومدارسته بعد أن ألهى عنه صدر الاسلام حتى كاد ينسى، وقد توج هذه العناية بالنجاح الباهر والمحصول الوافر أن كان الخلفاء أنفسهم من كبار الملمين باللغة والأدب، العارفين لمحاسن الكلام ووقائعه، الراغبين فى ألا تخلو مجالسهم من حوار فيه ونقاش، فان هذه الأشياء مجتمعة — ومعنا غيرها منهم — حملت أرباب الكلام على العناية بالقول والاحتفال بتجويده قبل إهدائه اليهم، كما حملت رواة الأدب على أن يلموا بالكثير الذى يحسنون ١ عرضه ويجيدون تقليبه، فتولد بذلك ضرب رشيق من الحوار الأدبى تم نضجه واستوى على يد شيخ تلك الحلبة الخليفة النابه عبد الملك بن مروان حيث هدأت بيده عواصف الفتن واستقرت بسياسته أمور الدولة، ففاض عهده بهذا اللون من الحوار الأدبى الذى شغل فراغا كان يشغله من قبل الحوار السياسى فى عهد معاوية، واستمر مطردا فى عهد أولاد عبد الملك من بعده، وكلهم أديب بارع وبحاثة عالم فأنتج الآثار الأدبية التى ملأت كتب الأدب وعادت على اللغة بوافر الغلات.

بهذا الصنيع وأمثاله من الخلفاء الأمويين ومن قلدهم فيه من الأمراء والولاة وسائر الناس شعراء وأدباء، انتشرت الرواية وكثر الرواة، كعامر الشعبى خاصة عبد الملك، وحماد الرواية جليس ابنه هشام، ولكن ماروى فى العصر الأموى كله بقى غير مقيد فى كتاب؛ حتى إذا ما جاء العصر العباسى

ودخل الاسلام كثير من الأعاجم الذين تعلموا لغة العرب وجدت الحاجة إلى التوسع فى قواعد النحو والصرف للتحرر من الأخطاء ، كما وجدت أيضا إلى الاكثار من الرواية للشواهد والمرانة ، ودفع الحرص على هذين الأمرين معا إلى تدوين المأثور ، وهنا حبب بعد مواطن العباسيين عن البرارى الى طائفة من فصحاء العرب والأعراب التردد على حواضر العراق ، لمد الرواة والمتعلمين بالمأثور ، لقاء ما ينالون جزاء ذلك من رزق ومال

فكان من أشهر هؤلاء الأعراب الفصحاء بالبصرة ، أبو البيداء الرياحى وأبو مالك بن كركرة ، وأبو الجاموس بن يزيد ، وأبو عدنان بن عبد الأعلى ، وشبيل بن عرعرة الضبعى ، وكان من أشهرهم بالكوفة ، أبو خيرة بن زيد ، وأبو المحلم الشيبانى . ولقد تعدى سيلهم المصرين المذكورين إلى بغداد فكان منهم فيها أبو زياد وأبو ضيغم الكلابيان ، وأبو شبل العقيلى ، والفقعس الأسدى ، بل تجاوزوا بغداد إلى خراسان كأبى العميثل مؤدب الطاهريين فى مرو .

لم نعرف لهؤلاء الأعراب المرتحلين ، ولا لغيرهم ممن لم يرحلوا عن البادية وإنما كان الرواة يرحلون إليهم، شيئا من الكتب عن أدبهم ولكن الرواة دونوا هذا الادب فى العصر العباسى الاول فكان مرجع الناس من نحاة وأدباء ، ومن أشهر هؤلاء الرواة المدونين أبو عمرو بن العلاء الذى أخذ عنه كل علماء عصره وكانت دفاتره إلى السقف فتنسك وأحرقها كما قال صاحب فوات الوفيات ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب نقائض جرير والفرزدق ، والشعر والشعراء ، والأصمعى عبد الله بن قريب صاحب الأصمعيات ورجز العجاج وعشرة كتب غيرها فى الانسان والحيوان والنبات والجماد ، وأبو زيد الأنصارى صاحب النوادر فى اللغة وكتاب المطر واللبن ، والقاسم بن سلام صاحب غريب الحديث وغريب المصنف وفضائل القرآن والمواعظ والأمثال وغيرهم

وهناك طائفة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر، وأشهرهم حماد الراوية جامع المعلقات ، والضبى صاحب المفضليات ، وخلف صاحب كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر ، والشيبانى جامع أشعار القبائل ، وكل هؤلاء من رجال الطبقة الأولى فى العصر العباسى الأول ، وقبل أن ينتهى هذا العصر نشأت به طبقة ثانية كان من دأب رجالها أن يجمعوا بين الروايات ويفاضلون بينها ، منهم محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء الجاهلين والاسلاميين، وأبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى صاحب جمهرة أشعار العرب ، وكلاهما صدر كتابه بمقدمة باسقة الطول تكلم فيها كثيرا عن الشعر واللغة كلاما انتقاديا له فى عالم الأدب مكان واعتبار ، وقد حادت هذه الطبقة الثانية فى كلامها عن الأكثار من اللغة كما حادت الطبقة الأولى عن الاكثار من النحو حيدة جعلت الأدب يتميز منهما ويتحقق له ما تحقق من الشخصية والمكان

٢ — ولما حل العصر العباسى الثانى أخذ الأدب يستقل عن النحو واللغة إلا لماما وأخذ يعنى بالمأثور وبالكلام عليه شرحا وتعليقا كما يعنى بالأخبار التى تتعلق بالأدباء أنفسهم ، ثم حدث أن جلا الأدباء فى أوله عن المصرين البصرة والكوفة للاحداث التى نزلت بهما من الزنج والقرامطة إلى بغداد التى استبحر فيها العمران وكانت الكتب المترجمة عن الأدب الفارسى وغيره قد أنارت للناس سبل التأليف فتغيرت بذلك كله وجهة الأدب وظهر هذا التغير فى أمور .

منها فى المأثور ، تجاوز الرواية إلى التدبر فى المروى بما يحلل معناه تحليلا ينتهى بحكمة أو عظة ، ومنها فى الخبر جمع أشتات الأخبار على اختلافها مع ترتيبها أبوابا فى كل باب طائفة ، ومنها فى غير ذلك ،الميل الى تدوين الحكم وأخبار الحكماء ومنافع العدل وسير العادلين والحث على الاقتداء بهم ، ولعل

الدافع إلى هذا الميل ظهور فساد الحكم فى ذلك العصر عصر الخدم الاتراك وتوالى ظلمهم حتى على الخلفاء ، فاصطبغت كتب الأدب بهذه الألوان وغيرها مما توخاه الأدباء فى التصنيف ، فالجاحظ وهو إمامهم وفاتح الفتح فى هذا اللون من التأليف له كتاب البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، وكتاب البخلاء وكتاب أخلاق الملوك وكتاب تنبيه الملوك ، وكتاب سحر البيان وكتاب طبقات المغنيين وكتاب العرافة والزجر عند العرب وكتاب الفراسة عند الفرس، إلى غير ذلك من الكتب الممتعة التى تجاوزت الثمانين سوى الرسائل الكثيرة المتنوعة فى شتى الموضوعات الطريفة .وابن قتيبة وهو المقفى الجاحظ فى هذا الباب له من هذا اللون كتاب عيون الأخبار فى عشرة أجزاء وكتاب أدب الكاتب وكتاب الشعر والشعراء وكتاب المعارف وكتاب الأمامة والسياسة فى التاريخ العام وكتاب الشراب والأشربة وكتاب التسوية بين العرب والعجم وكتاب تفضيل العرب وهكذا. وقدامة بن جعفر هو ذو الفتح المبين فى النقد المنطقى كما يتجلى ذلك فى كتابه نقد النثر ونقد الشعر الى غير هؤلاء من أدباء هذا العصر المؤلفين وإنهم لكثير .

٣ — ولما حل العصر العباسى الثالث جاء على الأدب وتاريخه خيرا وبركة وظهر ذلك جليا فى ناحيتين هامتين من الأدب هما النقد والقصة .

فأما النقد فقد انتشرت روحه وتعددت موضوعاته بعد أن فتحه فى العصر الثانى قدامة بكتابيه المذكورين ، فكان فى أدبائه من انتقد الرواية والأخبار كأبى الفرج فى كتابه الأغانى أضخم كتب الأدب وأحفلها بمواده وأجمعها التراجم الشعراء والمغنيين ، وكان منهم من انتقد الشعراء كحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ فى كتابه الموازنة بين أبى تمام والبحترى حيث لم يترك لكليهما شيئا مما يقوله متعصب له أو عليه إلا أورده فى أسلوب جدلى ممتع ونقاش حصيف ، وكالصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ فى كتابه مساوى

المتنبي وقد كان شديد التحامل عليه فيه لعدم مدحه إياه حين طلب اليه ذلك على أن يشاطره ماله، وكعبدالعزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٩٢ فى كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه حيث تصدى لدحض ماذكره الصاحب وغيره من سائر الخصوم، فانتصف للمتنبي انتصافا مؤيدا بالحجة والبرهان. كما كان فيهم من انتقد الكلام انتقادا مبينا على قوانين البلاغة التى وضع بعض قواعدها فى العصر الأول وتمت فى الثانى واطرد نموها فى الثالث، كأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٣ فى كتابه الصناعتين الكتابة والشعر، فقد ملأه نقدا مؤسسا على ضوابط الفصاحة والبلاغة فى الأساليب والمعانى، بل كان فيهم من طبق ذلك كله على كتار الكتاب ونوابغ الشعراء، كالثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ فى كتابه يتيمة الدهر وفى كثير من كتبه الأخرى المعروف منها نحو الاربعين، كالاعجاز والايجاز، وخاص الخاص، ونثر النظم وحل العقد وشمس الادب فى استعمال العرب، والكناية والتعريض، والنهاية فى الكناية وأجناس التجنيس وسحر البلاغة وغرر البلاغة إلى غير ذلك.

وأما القصة التى أحياها فى العصر العباسى الأول ابن المقفع بترجمته كليلة ودمنة، ونماها بعده فى نفس العصر من اقتفوا أثره فى ترجمة هذا الكتاب كعبد الله بن هلال الاهوازى الذى ترجمه ليحيي بن خالد فى خلافة المهدى أو فى نظمه كأبان بن عبد الحميد اللاحق الذى نظمه ليحيي هذا أيضاً، ثم زادها تنمية من جاءوا من محيى القصص فى العصر العباسى الثانى كالجاحظ فى كتابه البخلاء وغيره مثلا، فقد جاء العصر العباسى الثالث ناهضا بها مرقيا لها، إذ فيه بدأت ترجمة ألف ليلة وليلة لمترجمه الأول المجهول الذى تبعه فى الزيادة عليه بالوضع فيه قصاصون آخرون كثيرون، وفيه وضعت القصة الحماسية كقصة البراق الفارس الربعى المعروف من كتاب الجمهرة لعمر بن شبة

المتوفى سنة ٢٦٢ فى حروب ربيعة ، وكذا القصة الغزلية العذرية كقصة جميل العذرى مع صاحبته بثينة .

٤ ـ ولما جاء العصر الرابع اطرد رقى النقد والقصة .

فأما النقد فكان من أصحه وأمتعه فى هذا العصر ، ما وقع من عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه الخالدين « دلائل الأعجاز » و « أسرار البلاغة » ، وكان من طريفه وأمتعه ما جاء للموصلى فى كتابه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » الذى أجاد فيه نقد الألفاظ والمعانى عاتبا على أهل عصره تنكبهم طريق الأدب الحق وراسما لهم المهيع الذى ينبغى أن يكون .

وأما القصة فقد جاء منها فيه كتاب أسمار العرب والعجم لأبى عبد الله محمد بن عبد ربه الجهشيارى الذى جمع فيه ألف سمر كل سمر قائم بذاته لا يعلق به غيره فى أربعمائة ليلة وثمانين ليلة ، وقصة عنتر الحماسية التى وضعها للعزيز الفاطمى الشيخ يوسف بن اسماعيل وكذا القصة الغزلية الأباحية كقصة عمر بن أبى ربيعة مع عشيقاته الكثيرات .

على أن القصص الغرامية نمت فى هذا العصر نمواً كبيراً وتنوعت تنوعاً أكبر ، فقد ألفت أيامه قصص فى مغرمات النساء لتقابل القصص الموضوعة لمغرمى الرجال ، بل ألفت قصص للغرام بين الانس والجن كان المحب فيها الرجل أو المرأة من هؤلاء تارة ومن هؤلاء أخرى .

وقد عالج العرب فى هذا العصر نفسه نوعا من القصص غير ما أسلفنا رموا فيه إلى عرض نظرية علمية أو فكرة فلسفية هو القصص العلمى أو الفلسفى ، فمن الأول كتاب الانسان والحيوان لاخوان الصفا من علماء القرن الرابع وهو مناظرات بين الانسان والحيوان تقرر نظريات علمية كثيرة ، ومن الثانى رسالة حى ابن يقظان للفيلسوف محمد بن عبد الملك بن الطفيل المتوفى سنة ٥٨١ الذى شرح فيه بأسلوب قصصى إنسان الفطرة أو ابن الطبيعة ،

ووفق إلى نظريات فلسفية ذات قيمة فى تطورات هذا الانسان ، وهذان الكتابان وإن ضما إلى سمو الفكرة جودة العبارة ليسا جديرين أن يحملا اسم القصص ، على أن بعض شخصيات الأدباء الفلاسفة من العرب أمكنهم أن يغلبوا الصبغة القصصية على الصبغتين العلمية والفلسفية فى بعض قصصهم كأبى العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ فى قصته الخالدة« رسالة الغفران» تلك التى لمكانتها فى عالم القصة نسج على منوالها دانتى شاعر الطليان فى قصته «الرواية الآلهية » بعده بثلاثة قرون . وملتن الانجليزى فى روايته « الفردوس المفقود » بعده بستة قرون . ولا يفوتنا أن نذكر للعرب لونا آخر من القصة تغلبت فيه الناحية اللغوية الصناعية على النزعة القصصية هو المقامات وكان بطلها فى العصر الثالث بديع الزمان المتوفى سنة ٣٩٨ وفى العصر الرابع الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ .

هذا ومما تقدم فى تدوين الأدب تعرف النواحى التى مست تاريخ الأدب فى تلكم العصور ، على أنه كما قلنا آنفا لم يستكمل ناحية التاريخ الأدبى إلا فى عصرنا الحديث على شىء من النقص البادى فى كتاب المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله ، وعلى شىء من الكمال المقبول فى كتاب تاريخ أدب اللغة العربية للأستاذ حسن توفيق الذى عين الطريق بحق فسلكه من بعده السالكون، أمثال العلامة جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية والأستاذان أحمد الاسكندرى ومصطفى عنانى فى كتابهما الوسيط ، ومن بعد هذين سار الكثير من المؤلفين كصادق الرافعى وحسن الزيات ومحمد هاشم ومحمود مصطفى وكاتب هذه السطور «السباعى بيومى» .

وأخيرا لا زلنا فى تاريخ أدبنا بادئين ، ولازالت الطريق فى تدوينه ذات حاجة إلى تأصيل أصول وتفريع فروع ، تقتضى من العاملين التضامن فى الجهود ، والدأب فى النشاط حتى نصل به القمة بعون الله مسدد خطا السالكين وبه التوفيق .

( يتبع )

# دراسة الدين

للاستاذ محمد مصطفى أبو المحاسن الفاروقجي

مادة الدين من المواد التي يجب ان تتوجه اليها عناية الدولة لعظيم أثرها وتحقق فائدتها . وهذا تقرير لمدرس قام بتدريس هذه المادة . وصدمته صعوبات كثيرة رأى أخيرا أن يرفع رأيه فيها إلى رجال الوزارة فربما يسر لهم سبيل الوصول الى الخير العام

يحتوى منهج الدين على دراسة آيات قرآنية وأحاديث وبعض الفضائل من الوجهة الدينية وسير الانبياء والعبادات والعقائد .

ويستطيع من ينظر فى هذا المنهج أن تلاحظ فى سهولة ويسر ملاحظتين إحداهما تتعلق بنفس المنهج والاخرى بعدد الحصص المقررة ، ولكى نصلح هذا المنهج ونجعله مفيدا للاطفال موصلا للغرض الذى يرمى اليه التعليم الدينى يجب أن ندرس هاتين الملاحظتين ونعمل على تكوين منهج مناسب .

أما الملاحظة الاولى فأننا اذا قرأنا المنهج وجدناه قصيرا وغير واف بالغرض فهو لايخرج لنا فى نهاية التعليم الابتدائى تلميذا راسخ العقيدة قوى الايمان بل يخرجه مزعزعا مملوءا بالافكار المضطربة المهوشة لم يستفد بطريق الفهم الذى يجب أن يكون أساسا للدراسة ولا بطريق التلقين الذى يحسن بالمدرس ان يلجأ اليه فى المسائل التوقيفية . ثم هو أيضا يخرج هذا التلميذ غير حافظ للآيات القرآنية اللهم الا القدر الاخير منها الذى يطلب اليه تزويده والذى ينساه بمجرد مضى مدة على آخر قراءة قام بها وكذلك يقال فى الأحاديث الشريفة فان التلميذ لايكاد يلم بطرف منها حتى ينساه

فاذا أضفنا إلى ذلك عدم الاستفادة من دراسة العبادات والعقائد لعدم التدريب الكافى والدراسة المفيدة كما سأبين بعد عرفنا أن المدرسة هى المسئولة اليوم عن إخراج جيل ضعيف الايمان مزعزع العقيدة وأن واجبنا التفكير ووضع الخطط لاخراج جيل يتحلى بالفضائل الدينية .

أما الملاحظة الثانية التى تتعلق بعدد الحصص فان نظرة واحدة على المنهج تكفى لأن يقال أن عدد الحصص قليل بالنسبة له وإذا كنا حكمنا على المنهج بأنه قصير بالنسبة للمادة فاننا نحكم فى هذه المرة بأنه طويل بالنسبة لعدد الحصص مما يضطر المدرس لأحد أمرين كلاهما يخرج بالمادة عما وضعت له فهو إما أن يكلف التلاميذ قراءة بعض أجزاء المادة خارج الفصل وهذا لا يجرى مطلقا بالنسبة لتلاميذ السنة الأولى والثانية وقليلا ما يفيد تلاميذ السنة الثالثة والرابعة ، وأما أن يجمل بعض الموضوعات اجمالا يخل بالقصد ويخليه من المسئولية . ويظهر ذلك بوضوح فى دراسة مادة التهذيب وقسم القصص الذى ألحقه المنهج بالدين ولم يقدر الوقت اللازم له ليؤتى ثمرته المرجوة ، ولعل واضع المنهج يرى أن التوجيه الذى بدأ به المقرر كاف للوصول إلى المقصود ونسى ان تثبيت العقائد وهضم المعلومات يحتاج إلى تكرار وزمن طويلين وإلى تضافر الجهود المختلفة وانتهاز الفرص .

هذا عرض يسير لملاحظتين يلاحظهما من يطلع على منهج القرآن الكريم والدين بدون عناء ويكابد بسببهما المدرس كثيرا فى أثناء قيامه بواجبه فاذا لم يستطع التغلب عليهما — وهو ما يحدث دائما لجأ إلى فكرة التنسيق وعمل على التخلى عن المسئولية بتدريس المنهج بلفظه مبتعدا عن روحه التى تسبب له المتاعب ولا توصله إلى نتيجة معقولة .

ولعل الواجب أن أتقدم برأى فى علاج الموضوع وأرجو أن يكون موضع نظر لعله يوصل إلى المطلوب .

ويتلخص هذا الرأى فيما يأتى : —

أولا : يجب أن نفكر فى زيادة الحصص وإذا كان ذلك متعذرا فاننا نستطيع الاستفادة من حصص القصص وذلك بأن نجعل بعضها للقصص الدينية . ونترك للمدرس فى هذه الحالة اختيار الأسلوب الذى يوصل به المعلومات إلى التلاميذ مع ملاحظة أساس القصص الدينى والوصول به إلى الناحية التهذيبية ، وإذا كان الغرض من القصص توسيع مدارك التلاميذ وتربية ملكة الخيال وتعويدهم التعبير الصحيح . والنطق السليم فان دراسة القصص الدينية تؤدى إلى هذا الغرض وتزيد عليه تهذيب التلاميذ ثم أن دراسة هذه القصص لا يحرم التلاميذ دراسة القصص الأخرى أيضا لأن القصص الدينية لا تستوعب جميع الوقت المخصص للقصص ، كما أنه من الممكن جعل دروس التهذيب فى شكل قصصى أيضا يدرسها المدرس مرة على شكل تمثيلى وأخرى على شكل قصصى وبذلك نكون قد خففنا منهج الدين واستفدنا من حصص القصص ووضعنا أمام المدرس موضوعات يستطيع أن يجعلها أساسا لمادته وتركنا له الأسلوب والطريقة التى يخرج بها أطفالا مهذبين يلمون بما نريده من القصص .

وهذا الوضع يقتضى انشاء حصص للقصص فى السنة الثالثة والرابعة وهو ما يتيسر لو رأت الوزارة الغاء اللغة الانجليزية أو الحد منها فى التعليم الابتدائى كما أنه من الممكن أخذ حصة من دروس الاشغال فى هاتين الفرقتين وجعلها للقصص .

ثانيا : إذا تم الوضع السابق أمكن تخصيص حصص الدين الحالية للقرآن والحديث والعبادات والعقائد ويجب فى هذه الحالة اختيار الآيات والأحاديث التى تناسب ما نريد دراسته من العبادات والعقائد . فنلاحظ فى الاختيار ما يجعل المدرس يتكلم عن صفات الله والرسل وآثارهم فى المجتمع الانسانى ،

كما نلاحظ اختيار الآيات التى تتكلم عن مظاهر الطبيعة والتى توجه أذهان التلاميذ إلى عظيم قدرة الله وجليل نعمه ، ولا مانع من اختيار الآيات التى تظهر الفرق بين الملل والنحل ، ولا مانع أيضا من اختيار بعض الآيات التى تناسب القصص وذلك لتثبيت القصة ومساعدة مدرسها الذى يجب أن يكون متخيرا أسلوبا حديثا يتفق مع سن التلاميذ ومعلوماتهم وعلى ذلك يجب زيادة الكم من القرآن خاصة ليستطيع التلاميذ الاستفادة منه فى عباداتهم وتثبيت عقائدهم .

ثالثا : يجب أن يكون وضع الحصص فى جدول المدرسة بحيث يعين المدرس على دراسة الوضوء والصلاة دراسة عملية دائمة فانه يلاحظ فى المنهج الحالى أن التوجيهات أشارت الى وجوب أن تكون الدراسة عملية حتى يطمئن المدرس ويأنس من التلاميذ القدرة على الوضوء والصلاة بدون معونة ثم هى بعد ذلك تترك الأمور تجرى فى مجراها العادى فلا يجد المدرس وقتا لدراسة هذا الموضوع فضلا عن القيام به عمليا فى فصل يتكون من أكثر من أربعين تلميذا لذلك يجب أن يلاحظ هذا الوضع لتكون هناك دراسة عملية حقيقية ، ومما يجب أيضا بهذه المناسبة ملاحظة مصلى المدرسة بحيث لا تكون مجرد رمز لهذا الاسم بل مصلى يؤدى فيه التلاميذ الصلاة فعلا تحت اشراف مدرس مسئول ينقص من جدوله بعض الحصص أسوة بأستاذ المكتبة وأساتذة الاشراف ويحسن أن يكون هذا المدرس هو أستاذ المادة بالسنتين الأولى والثانية ليستطيع ملاحظة التلاميذ خارج الحصص فى هذه الناحية بل لا مانع من وجود اكثر من أستاذ لهذا الاشراف كما يجب أن توجه المدرسة نظر التلاميذ الذين لا يقومون بهذا الواجب بشكل لطيف يحببهم فى القيام به .

رابعا : يجب أن تستمر دراسة الدين والقرآن الكريم إلى نهاية السنة

أما الجوائز فيجب أن توزع أكثر من مرة فى أثناء السنة لتؤتى ثمرتها المرجوة فان المعروف عن الطفل أنه سريع التأثر سريع النسيان . فاذا كان توزيع الجوائز فى أثناء السنة وكانت أمامه فرصة أخرى وثالثة ورابعة أمكن أن يعمل لينال منها ، أما نظام توزيع الجوائز آخر العام فانه لا يؤتى ثمرته لأن التلميذ فى العام التالى ينسى ما كان قبل ذلك فضلا عن أنه يعتقد أن الفرصة ضيقه ولا يرى أثر الجائزة حتى يتحفز وينال مثلها . وهنا نواجه مشكلة تدبير المال اللازم للجوائز المذكورة ، وأقول أنه من الممكن استخدام بعض النقود المتحصلة للنشاط المدرسى أو التأمين الاجتماعى أو تحصيل هذه النقود من التلاميذ باقامة حفلات لتوزيع هذه الجوائز تقدم فيها فرق النشاط بالمدرسة برنامجا مسليا يتعلق بالناحية الدينية والاجتماعية . ويدفع كل تلميذ رسم دخول لهذه الحفلة أو ما يشبه ذلك . ولعل الوزارة لا تعجز عن تدبير مثل هذه المبالغ الضئيلة ولديها ميزانية النشاط المدرسى والألعاب .

خامسا : يجب العناية بمسألة كتب القرآن الكريم والدين على أن تكون كتبا جامعة تحبب الأطفال فى القراءة ولا يجوز أن تكون متجهة نحو تفسير الكلمات فتصبح قاموسا لأن هذه الناحية مع صعوبة الأفكار التى تحتويها تزهد الطفل فى القراءة وتشعره أنه أمام ألغاز صعبة بعيدة عن روحه ومرحه وعلى أى وضع فقد أصبحت كتب الدين منذ سنوا كتبا ثانوية كثيرات ما تهمل الوزارة الاهتمام بها أو توزيعها .

هذا رأى سقناه ونرجو أن يكون موضع بحث لنصل إلى الخير ونخرج جيلا يعرف الله ويخشى الآخرة ؟

محمد مضر أبو المحاسن القاوقجى
مدرس بالمدرسة الحسينية الابتدائية للبنات

## ٥ – النقـــد اللغوى

للأستاذ على السباعى

---

سألنى بعض الاخوان فى لجان تقدير الدرجات بالقسم العام عن كلمات خطأها كتاب لغة الجرائد للعلامة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجى أو كتاب تهذيب الألفاظ العامية للأستاذ الفاضل الشيخ محمد على الدسوقى ، أو مجلة المجمع اللغوى فأجبت بأنى صوبت بعض هذه الكلمات فى أعداد سابقة من هذه الصحيفة .

صوبت الكلمات : عمة ، التحق ، بواسل ، زاد عن ، فى العدد الأول من السنة السادسة .

والكلمات : عديد بمعنى كثير ، تبدى بمعنى ظهر ، ساهم بمعنى شارك ، صارح متعدية ، كسول للمذكر ، بشوش الوجه ، فى العدد الرابع من السنة نفسها .

والكلمات : التحف متعدية ، ارتدى الثوب ، يخاف من الله ، تكرار بين مع المظهرين ، تحنان ، فى العدد الثانى من السنة التاسعة .

والكلمات : تجاهل متعدية ، أنجب متعدية ، قد لا يكون ، حذر من ، منضدة ، فى العدد الأول من الثانية عشرة وتصويب كل هذه الكلمات راجع إلى نصوص أدبية عثرت عليها فى أثناء قراءتى لا إلى نصوص فى المعاجم التى بأيدينا .

وأصوب هنا بعض كلمات خطأها المرحوم اليازجى فى كتابه لغة الجرائد ولا يزال الكاتبون أو المشرفون على الكتابة يأخذون برأيه فيها فيمحون ما تسقط به أقلامهم أو يقع فى كراسات الطلاب ظنا منهم أنه قتلها بحثا واستوعب المعاجم وكتب الأدب قبل تخطيئها وليس هناك فمن ذلك .

١ ـ الصياغ : قال فى كتابه صفحة ٨٢ ( ويقولون هم الصياغ والسواح فيعكسون فى اللفظين والصواب الصواغ لأنه من صاغ يصوغ والسياح لأنه من ساح يسيح ، وقوله حق فى تخطئته السواح أما فى الصياغ فلا .ذلك لأن شارح القاموس قال بعد كلمة المتن ( وهو صواغ وصائغ وصياغ ) معاقبة فى لغة أهل الحجاز ـ أى أن الحجازيين يقولون كما نقل الفراء عنهم صواغ وصياغ وهذا معنى كلمة معاقبة ـ وفى حديث على رضى الله عنه واعدت صواغا من بنى قينقاع وهو صواغ الحلى ، قال ابن جنى [1] إنما قال بعضهم صياغ لأنهم كرهوا التقاء الواوين لا سيما فيما كثر استعماله فأبدلوا الأولى من العينين ياء كما قالوا فى أما أيما ونحو ذلك فصار تقديره الصيواغ فلما التقت الواو والياء على هذا أبدلوا الواو للياء قبلها فقالوا الصياغ ثم قال الشارح فى مستدرك صاغ وجمع الصائغ صاغة وصواغ وصياغ بالضم فيهما مع التشديد فأنت ترى من هذا النص أن قول العامة ارتفع سعر الذهب عند الصياغ أيام الحرب صحيح ولا وجه لتخطئة اليازجى .

هذا والعامة تطلق على المصوغ من الذهب عقودا وأشنافا ولبات وجرادين [2] ( صيغة ) وهى كلمة صحيحة فصيحة وإن لم تنص عليها المعاجم فقد جاءت فى شعر ربيعة بن سفيان بن سعد الملقب بالمرقش الأصغر فى قصيدة فى المفضليات ص ٤٥ من الجزء الثانى يصف ظعائن ركبن الابل العظام وارتحلن .

تحلين ياقوتا وشذرا وصيغة وجزعا ظفاريا ودرا توائما

٢ ـ سرتنى رؤياك : قال فى كتابه ص ٦٢ ( ومن هذا قولهم سرتنى

---

(١) راجع الخصائص ص ٤٦٣ من الجزء الاول .

(٢) اللبة هى ما يوضع على الصدر معلقا فى العنق سمى بذلك تجوزا لعلاقة المجاورة وتنطقها العامة بالكسر وجرادين جمع جردانة فارسية وتنطقها العامة بالكاف فتقول كردان وجمعه كرادين .

رؤياك بالألف وإنما الرؤيا فى النوم خاصة وأما فى اليقظة فيقال الرؤية بالهاء وهى اللغة الفصحى ) .

وقال المرحوم الشيخ ناصيف اليازجى فى العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب تعليقا على قوله :

مضى الليل والفضل الذى لك لا يمضى ورؤياك أحلى فى العيوم من الغمض(١)

الرؤيا خاصة بالمنام لكنه استعملها مكان الرؤية تجوزا ولو قال مرآك لكان أولى اه ولكن ورد فى المعاجم والنصوص ما ينقض قولهما ففى اللسان ما نصه فى مادة رأى ( قال ابن برى وقد جاء الرؤيا فى اليقظة قال الراعى النميرى .

فكبر للرؤيا وهش فؤادها وبشر نفسا كان قبل يلومها

وعليه فسر قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس قال وعليه قول أبى الطيب .

ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض اه

وقال أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى فى كتابه الاقتضاب شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ناقدا اختصاصه الرؤية بالنظر والرأى بالفقه ما نصه ( قد قيل فى رؤية العين رأى كما قيل فى الفقه ورؤيا كما قيل فى النوم قال الله تعالى يرونهم مثليهم رأى العين وقال الراجز .

ورأى عينى الفتى أباكا يعطى الجزيل فعليك ذاكا

وقال الراعى النميرى وذكر أبياتا منها البيت السابق .

وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط عند قوله : وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس اختلف الناس فى الرؤيا : فقال الجمهور هى رؤيا عين ويقظة وهى ما رأى فى ليلة الاسراء من العجائب وسميت الرؤية فى هذا التاويل

(١) الغمض والغماض النوم .

رؤيا إذ هما مصدران من رأى ثم قال بعد أقوال وقال صاحب التحرير سألت أبا العباس القرطبي عن هذه الآية فقال ذهب المفسرون إلى أمر غير ملائم لسياق أول الآية والصحيح أنها رؤية عن يقظة فتلخص من ذلك أن الرؤية والرؤيا والرأى مصادر لرأى البصرية ولا معنى لتخطئته حينئذ .

٣ ـ رجل تعيس : قال فى كتابه ص ١٦ ( ويقولون رجل تعيس وقوم تعساء وهو من أهل التعاسة وكل ذلك خلاف المنقول عن العرب والمسموع عنهم رجل تعس وتاعس الخ ولكن ابن دريد قال فى جمهرته ص١٦ من الجزء الثانى ( والتعس العثر أتعسه الله أى كبه وأعثره والرجل تاعس وتعس وتعيس فأثبت تعيس ويجمع على تعساء قياسا لأن فعيل يطرد جمعه على فعلاء وقد تبعت اليازجى فى هذا فأثبت تخطئتها فى كتابنا إنشاء المقالات المطبوع سنه ١٩٢٥ ثم اطلعت على الجمهرة فعلمت صوابها وبقيت ( التعاسة ) كما هى إذ الفعالة مصدر لفعل وليس فى مادة التعس إلا تعس وتعس فقط وقد زاد صاحب الجمهرة فى المادة رجل متعس إذا كان منكمشا [١] ماضيا فى الأمور وزاد الأساس فى المادة : أضرع الله خده ، وأتعس جده وهو منحوس متعوس ومن كلام صاحب الجمهرة تتبين صحة تعيس وتعساء .

٤ ـ الرضاء : قال فى كتابه ص ٩٣ ( ويقولون فعل هذا بغير رضائى فيمدون الرضا وهو مقصور فى الأشهر وأما الرضاء بالمد فهو مصدر راضى مراضاة ورضاء ) ولكن مختار الصحاح يقول رضى عنه بالكسر رضا مقصور مصدر محض والاسم الرضاء ممدود عن الأخفش وقال تاج العروس ( رضا ) بالكسر مقصورا مصدر محض وأما بالمد فهو اسم عن الأخفش أو مصدر راضاه رضاء وكذلك يقول اللسان ومن هذا تعلم أن الرضاء ممدود صحيح فصيح .

(١) انكمش الرجل فى حاجته اجتمع فيها ورجل كميش الأزار مشمره .

٥ ــ اعتنق دين كذا : قال فى كتابه ص ٩٤ اعتنق دين كذا أى صبأ اليه ودان به وهو التعريب الحرفى عن اللغات الأوربية واللفظ العربى فى هذا المعنى انتحل دين كذا أى اتخذه ديناله وهو نحلته بالكسر) هكذا علل لتخطئة الكلمة ونرى أنها صواب بالنصوص اللغوية مع التجوز ففى المصباح المنير فى مادة عنق ( وعانقت المرأة واعتنقتها وتعانقا وهو الضم والالتزام واعتنقت الأمر أخذته بجد ) ولك أن تفسر الأمر بحسى يعتنق أو معنوى كالدين وفى الأساس وكذا مستدرك التاج فى عنق اعتنق الأمر لزمه ولا شك أن الذى يدين بدين ويسلم عن تسليم ورضا واقتناع يلزمه ويتمسك به وحين قال القاموس ( تعانقا وعانقا فى المحبة ) زاد التاج واعتنقا بمعنى واحد ولما قال ( واعتنقا فى الحرب ونحوها ) قال التاج وقد يجوز الافتعال فى موضع المفاعلة فاذا خصصت بالفعل واحدا دون الآخر لم تقل إلا عانقه فى الحالين قال الأزهرى وقد يجوز الاعتناق فى المودة كالتعانق وكل فى كل جائز ومن عبارة الأزهرى الأخيرة والنصوص السابقة تعلم أن لا خطأ فى اعتنق دين كذا .

٦ ــ شاع الخبر فى النوادى قال فى كتابه ص ٣٧ ( ويقولون قد شاع الخبر فى النوادى ويريدون جمع النادى وهو مع كونه القياس غير مستعمل وانما يقال فى جمعه الأندية ) .

ونقول إن الدعوى بغير استعماله لا نستطيع التدليل عليها مادمنا لم نحط بالنصوص كلها علما ولم نر من خطر استعمال النوادى من الرواة الثقات واللغويين الذين يعتد بتمكنهم فى اللغة وسعة اطلاعهم ولا مانع من جمع ناد على نواد مادام ذلك القياس وقد جمعوها على أندية[1] ونبهوا بندرة هذا الجمع ومن الذين استعملوا كلمة النوادى صاحب القاموس إذ قال فى خطبة كتابه ( باعث النبى الهادى مفحما باللسان الضادى كل مضادى ، مفخما لا تشينه

(١) جمع فاعل على أفعلة من الشواذ قالوا ولم يرد منه سوى هذا وواد وأودية وناج وأنجية

الهجنة واللكنة والضوادى ، محمد خير من حضر النوادى ، وأفصح من ركب الخوادى الخ[١] ) ولم يعلق الشارع على النوادى إلا بقوله ( أى المجالس مطلقا أو خاص بمجالس النهار ، أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه كما سيأتى ) واستعملها البارودى فى شعر قالوا عنه إنه آخر شعره .

أنا مصدر الكلم البوادى بين المحاضر والنوادى

وقلب هذا البيت الشيخ العالم محمود المنصورى شارح ديوانه بما لا يتفق مع ذوق البارودى وعلمه وحسن نظمه فرواه هكذا :

أنا مصدر الكلم النوادى بين الحواضر والبوادى

وفسر النوادى بأن مفردها ناده بمعنى شاردة أى سائرة والعقل يند عن قبول هذا التفسير الذى يحوج الشاعر إلى قلب غير شائع وفك إدغام من أجل القافية وأميل إلى رواية الوسيط الأولى الخالية من الضرورات .

٧ — تلاشى : ليس هذه الكلمة مما خطأه اليازجى ولكنى سئلت عنها فاطلعت على ماقيل فيها وإذا ثبتت كلمة السخاوى الآتية كان صحيحة الاستعال فصيحة قال اللسان فى مادة ( لشش ) قال الخليل ليس فى كلام العرب شين بعد لام ولكن كلها قبل اللام قال الأزهرى — وعليه يعول صاحب اللسان وقد وجد فى كلامهم الشين بعد اللام قال ابن الاعرابى وغيره رجل لشلاش اذا كان خفيفا والشلشلة أى كثرة التردد عند الفزع واضطراب الأحشاء فى موضع بعد موضع واللش أى الطرد ، والعلوش أى الذئب حميرية وذكر التاج اللقش أى النطق بمعاريض الكلام والعيب واللكش أى الضرب بجمع الكف[٢] واللمش أى العبث واللوش أى اللوق وهو الحمق ورجل

---

(١) مضادى أى مخالف ومعارض ، الضوادى الكلام القبيح ولم يعرف لها مفرد ، الخوادى جمع خاد أو خادية الابل المسرعة فى السير

(٢) تقول العامة لكشه : يلكشه أى ضربه بجمع كفه فى وجهه أو ذقنه .

ألوش وهى لوشاء ومن هذه الكلمات يعلم أن انكار الخليل للشين بعد اللام فى غير محله وأما قولهم ماش خير من لاش فمعنى ماش متاع ردىء خير من لا شىء أى ما كان فى البيت من قماش لا قيمة له خير من بيت فارغ لا شىء فبه نخفف لا شىء إلى لاش ليزدوج مع ماش قال التاجواستعملوا منه ـ أى من لاش ـ تلاشى كأنه مولد .

وقال الشهاب الخفاجى فى كتابه شفاء الغليل ص ٥٢ واعترض التاج الكندى على قول ابن نباته الخطيب وبقايا جسوم متلاشية بأن تلاشى الشىء بمعنى اضمحل وبطل الاعتداد به لم يرد عن العرب قيل كأنهامشتقة من لاشىء كبسمل وحمدل فى باب النحت كذا قال ابن الجوزى فى غلطاته لكنه ورد فى قول الصنوبرى .

وتلاشى نضح الدموع فما تمـــلك عينى إلا دما نضاحا

وورد فى حديث رواه شيخ مشايخنا السخاوى فى كتاب مناقب العباس بهذا المعنى وصححه بخطه وهو مما رويناه عنه من أن معاوية رضى الله عنه سأل عبد الله بن عباس عن أبيه فقال ( تلاشت الأخـــدان عن فصيلته وتباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته الخ ومن هذه القولة تعلم أن تلاشت صحيحة وانما ذكرنا شعر الصنوبرى للاستئناس والله الموفق للصواب ؟

للبحث بقية

علی السباعی

# المؤتمر الثقافى العربى الأول

## فى لبنان

للأستاذ محمود الخولى
مفتش اللغة العربية بمنطقة القاهرة الشمالية
وعضو المؤتمر العربى الثقافى بلبنان

هو الباكورة الشهية ، لأعمال جامعة الدول العربية ، والمظهر الرائع لنشاط لجنتها الثقافية التى قررت عقد ثلاثة مؤتمرات عربية (للهندسة — والآثار — والثقافة) فى سوريا ولبنان صيف عام ١٩٤٧ وقد اختارت لبنان مكاناً لانعقاد المؤتمر الثقافى ، فكان اختياراً موفقاً دل على نبالة المقصد ، وسمو التقدير ، لما للبنان على اللغة العربية وآدابها من فجر النهضة ، من أياد سابغة تذكر له بالحمد والثناء كلما ذكر الأحدب والشدياق واليازجى ودموس والبستانى وزيدان ، ونعيمه وجبران ، وتقلا وصروف ، وغيرهم من أعلام اللغة والأدب وأمراء البيان .

ومن منا لا يكبر لبنان حين يتحدث المتحدثون عن حب اللبنانى فى مهجره للغته العربية ، وحنينه إليها ، برغم الشقة بينه وبين وطنه الأول ، فقد رفع لواءها فى الدنيا الجديدة ، وتغنى بها ، وجدد شبابها ، وأثبت للعالم أنها لغة مرنة مطاوعة ، تصلح لمسايرة الزمن ، وبعث العلم القديم والحديث ، فأخرج للناس أدباً جديداً له طابع خاص ، جمع بين الروح العربية ، ورواء المدنية الغربية ، وعرف هذا الأدب الجديد بادب المهجر فى أمريكا ، لهذا لم يكن عجيباً أن تؤثر الجامعة العربية ولجنتها الثقافية لبنان على غيره من سائر الأقطار العربية ، فتتخذ منه مقراً لانعقاد أول مؤتمر ثقافى عربى ، تقديراً

لفضل أهله على اللغة والأدب ، وتعريفاً لأبناء العروبة بهذه البقعة الساحرة الفاتنة من وطنهم الأكبر ، ليحجوا إليها ، كلما هزهم الشوق إلى اجتلاء مباهج الطبيعة فى قطر عربى يمتاز بسحر وروعة يشعر بهما من أقام فوق ذرا جباله الشامخة ، المزدانة بغابات الصنوبر والسنديان ، كما يمتاز بخفة هوائه ، وعطر نسيمه ، وتفجر ينابيعه ، وتحدر شلالاته ووفرة تفاحه ورمانه ، ولذاذة دراقه ( الخوخ ) وإجاصه ( الكمثرى ) وحلاوة عنبه وتينه ، وازدحامه بكل ماوعد الله به الصالحين من عباده .

ولم تكد الأمانة العامة للجامعة العربية تعلن قرار انعقاد المؤتمر الثقافى الأول فى لبنان ، محددة زمانه ومكانه ، وداعية رجال الفكر والأدب إلى الاشتراك فيه حتى تسابقت الحكومات العربية ، والهيئات الرسمية والجماعات العلمية ، والأدبية والثقافية ، والرجال والسيدات للاشتراك فيه من سائر الأقطار العربية ولقد أسهمت جماعة دار العلوم فى الاشتراك فيه بنفر من أعضاء مجلس إدارتها ، فقررت أن تكون نفقتهم على حسابها ، فأبوا إلا أن تكون من مالهم الخاص ، وهم حضرات الأستاذ العميد محمد بك على مصطفى وكيل الجماعة والأساتذة محمد جبر ، وسعيد العريان ، ومحمود الخولى من أعضاء مجلس الإدارة . وانضم إليهم فى لبنان ثلة من إخوانهم أبناء الدار فكونوا جبهة قوية ، تظاهر الثقافة القومية العربية .

ولقد كان إنعقاد المؤتمر الثقافى فى المدة من ٢ إلى ١١ من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٧ برعاية حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية ، ورياسة حضرة صاحب المعالى وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة فى الفندق الكبير ببيت مرى المشرف على بيروت فى مصيف هادىء جميل ، معتدل المناخ ، طيب الهواء ، يزدان بغابات جميلة من الصنوبر ، تكسوه سحراً وجمالا ، وروعة وبهاء .

ولقد أخذ الفندق الكبير زخرفه وازيَّن ، وامتدت إليه يد التنسيق والتجميل ، حتى غدا بهجة للناظرين لائقاً بمكانة النازلين به من كبار المؤتمرين الذين وفدوا على لبنان من سائر أقطار العروبة ، ليقيموا فيه سوقاً ومؤتمرا للثقافة القومية العربية .

فقد اجتمعت العروبة لأول مرة فى تاريخها الحديث ممثلة فى علمائها وأدبائها وقادة الرأى والفكر فيها ، فوق ذرا هذا الجيل العربى الأشم ، الشامخ بأنفه إلى السماء ، فتآلفت أرواحهم ، وامتزجت نفوسهم ، وتقاربت أفكارهم ، واتحدت آراؤهم وصحت عزيمتهم على أن يحرروا ثقافتهم القومية وتربيتهم الوطنية من جمود الماضى وميوعة الحاضر تحريراً بريئاً من الجمود ، بعيدا عن التهور والاندفاع ، نزيها عن الغاية والغرض ، قائما عن أسس ثابتة صالحة ودعائم قوية من المثل العربية العليا التى هى العاصم لأخلاقنا من الانحلال ، ولشخصياتنا من الفناء فى شخصيات الأقوياء من الطامعين والمستعمرين .

ولقد تكونت هيئات المؤتمر من خمس لجان هى :

١ ـ مكتب المؤتمر : ومهمته الاشراف على الأعمال الإدارية للمؤتمر .

٢ ـ اللجنة التوجيهية : ومهمتها تنظيم الأعمال الفنية للمؤتمر .

٣ ـ اللجنتان الفنيتان العامتان : (ا) لجنة اللغة العربية (ب) لجنة المواد الاجتماعية ( التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية ) ومهمتهما دراسة الموضوعات التى تدخل فى اختصاصهما مما يرد لهما من اقتراحات اللجان الفنية الفرعية ـ والتقدم لهيئة المؤتمر العامه بتوصيتهما .

٤ ـ اللجان الفنية الفرعية : وتفرع عن لجنة اللغة العربية : ـ (ا) لجنة الأدب ـ (ب) لجنة القواعد . وتتفرع عن لجنة المواد الاجتماعية : (ا) لجنة التاريخ (ب) لجنة الجغرافيا (حـ) لجنة التربية الوطنية .

ومهمة هذه اللجان الفرعية دراسة المسائل التى تدخل فى اختصاصها دراسة تمهيدية .

وتمحيص الآراء التى وردت فى التقارير وتلخيصها والتقدم باقتراحاتها فيها إلى اللجنة الفنية العامة .

٥ ـ الهيئة العامة للمؤتمر : وتتكون من كل أعضاء المؤتمر ـ ومهمتها النظر فى مقترحات اللجنتين الفنيتين العامتين ، واتخاذ المقررات النهائية للمؤتمر .

ثم كان الافتتاح الرسمى للمؤتمر أصيل يوم الثلاثاء ٢ من سبتمبر سنة ٤٧ فتزينت بلدة بيت مرى ورفعت بها الأعلام العربية فى كل مكان ، وعلقت الزينات على الحيطان والشرفات وأغصان الأشجار ، وصدحت الموسيق بأنغام شجية ، ودقت الطبول ، واصطف الجند على جانبى الطريق الموصل لمكان المؤتمر ـ ومن خلفهم اللبنانيون فى انتظار موكب الرئيس إلى الفندق الكبير الذى وسع فناؤه حفل الافتتاح ، فوضعت فى صدره منصة للخطابة ومحطة للاذاعة ، وصفت فيه مقاعد الأعضاء والمدعوين فى شكل نصف دائرة يتقدمها مقعد وثير لفخامة رئيس الجمهورية ، وعن يمينه مقعد الدولة رئيس الوزارة اللبنانية ، وعن يساره مقعد لمعالى رئيس المؤتمر . وما دقت الساعة أربعا حتى صدحت الموسيق بالسلام الجمهورى ، فكان ذلك إيذانا بقدوم فخامة الرئيس فهفت إليه النفوس وشخصت إليه الأبصار وأرهفت له الآذان وساد المكان صمت وسكون قطعه شيخ خرج على الجالسين من باب كبير مناديا : فخامة الرئيس . فوقف الجالسون إجلالا ، وأهلت عليهم طلعة مهيبة قد انبسطت أساريرها ، وتلألأ البشر على قسمات وجهها هى طلعة فخامة الرئيس الجليل الشيخ بشارة الخورى الذى حيا الأعضاء برفع يديه إلى رأسه ، ومن حوله دولة رياض بك الصالح ووليجته ، فصفقنا طويلا فكرر فخامته التحية شاكراً وأذن لنا بالجلوس وجلس ، فأخذنا مقاعدنا .

وبعد قليل أعلن افتتاح المؤتمر بقيام فخامة الرئيس إلى منصة الخطابة وإلقائه علينا رسالته السامية إلى أعضاء المؤتمر الثقافى بصوت جهورى ولسان عربى مبين . فقوبلت هذه الرسالة السامية فى جميع مقاطعها بالتصفيق الشديد ثم تعاقب من بعده على منصة الخطابة حضرات : صاحب المعالى وزير التربية الوطنية رئيس المؤتمر ، فحضرة ممثل اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية فحضرات رؤساء وفود الدول الرسمية معبرين عن أمانيهم وآمالهم فى نجاح المؤتمر فى مهمته .

ثم كان مسك الختام القصيدة العصماء التى جادت بها شاعرية شاعر العروبة الأوحد وبلبلها الصداح ( على بك الجارم ) أطال الله بقاءه .

فأشعلت نار الحماسة الوطنية فى نفوس الحاضرين واستعادوا معظم أبياتها مرات ، فكانت وايم الله نفحة من نفحات أستاذنا الجارم بك ، جعلت حفلة الافتتاح آية فى الروعة والفخامة والجلال . ولقد استظهرها اللبنانيون وسمعناها منهم فى محافل تكريمهم إيانا بعد يومين من إلقائها ، يتغنون بها ، ويطلقون عليها معلقة الجارم بك .

ولقد انتهى حفل الافتتاح ، بافتتاح معرض الكتب المدرسية والكتاب العربى ، فى منتصف الساعة السادسة . ثم دعى الحاضرون إلى مقصف فخم أعدته لهم إدارة الفندق الكبير ، تكريما للمؤتمرين ، وابتهاجا بعقد المؤتمر الثقافى فى فندقها .

وفى منتصف الساعة السابعة انتظم عقد الاجتماع العام لأعضاء المؤتمر ، وشرح الرئيس الادارى للمؤتمر الأغراض والاهداف وطريقة العمل . وفى الايام التالية ، تتابعت اجتماعات اللجان الفنية الفرعية ، ثم اللجان الفنية العامة ، لانجاز ما عهد إليها القيام به من بحث ودراسة الموضوعات ، وفحص وتمحيص الاقتراحات ، وصياغة المقررات والتوصيات فى جد وإقبال، منقطع

النظير ، مما يسر نجاح المؤتمر فى مهمته ووصوله إلى غايته فى زمن وجيز .

ولقد كان لأبناء دار العلوم مظهرهم الرائع الذى لفت إليهم أنظار المؤتمرين . فقد كان يبدو عليهم الجد والاهتمام والتفرغ لأعمال المؤتمر التى سيبحثها المؤتمرون ، وظهورهم بمظهر الرجولة ، والاعتزاز بالنفس ، واليقظة لكل ما يدور حولهم بالمؤتمر ، فكانوا متحفزين على الدوام للدفاع عن اللغة ، قواعدها وآدابها . فى رفق ولين وحسن إقناع . ولقد أكسبتهم كثرة عددهم بالمؤتمر التى لم تتوافر فى وفد من الوفود الرسمية أو وفود الهيئات والجماعات وقيامهم بمهام الأعمال فى لجنتى الأدب والقواعد ، وتوافرهم على درس البحوث وفحص الموضوعات ، وتمحيص المقترحات ، ثقة إخوانهم أعضاء اللجان الفنية من الأقطار الشقيقة ، فعهدوا إليهم القيام بتحرير المذكرات ، وشرح الموضوعات ، فى الاجتماعات العامة ، والرد على الاعتراضات ، وصياغة المقررات مما لا ينكر أثره فى لجنة الادب لحضرات الاساتذة : الجارم بك ، والشايب بك ، وخلف الله بك ، وكاتب هذه السطور . وفى لجنة القواعد للأستاذ الكبير محمد بك على مصطفى الذى بدأ عمله فيها عضوا — لا رئيسا ولا مقررا — ثم لم يلبث بعد جلستين (حين جد الجد ، وأشكل الامر ، واختلط الرأى) أن صار فى النهاية هو اللجنة مجتمعة فى شخصه ، تكل إليه وضع المنهج ، وتحرير المذكرات ، وشرح الموضوعات ، وصياغة المقررات .

وبذا بان فضل دار العلوم ، وظهر أثرها ، وذاع صيتها بين أعضاء المؤتمر من سائر الاقطار العربية ، فالتفوا حولهم ، ولم تخل أوقات فراغهم من تلاق واجتماع باخوانهم العرب ، فى شبه مؤتمرات صغيرة ، علمية وثقافية وأدبية واجتماعية ، يتعارفون ويتباحثون فى شتى الموضوعات ، مما زاد الاخوان العرب تعريفا بدار العلوم ، وما أدت وتؤدى إلى الفصحى من

جليل الخدمات على يد بنيها الذين عرفوا فى سائر الاقطار برسل الثقافة القومية العربية .

وكان لكثير من أبناء دار العلوم الذين لم يشتركوا رسميا فى عضوية اللجان الفنية الفرعية ، صوت مدو مسموع فى الاجتماعات العامة ، وكان أقوى هذه الاصوات دويا صوت الاستاذين محمد جبر ومحمد سعيد العريان.

وفى يوم الثلاثاء ١٩٤٧/٩/٩ كان ختام أعمال لجان المؤتمر ، فأنجزت اللجان فى صباحه ما بقى لديها من أعمال ، واجتمعت فى مسائه الهيئة العامة للمؤتمر وناقشت التوصيات والاقتراحات ، ثم صدقت على القرارات النهائية . وألقى حضرة ممثل اللجنة الثقافية العامة للجامعة العربية كلمة شكر فيها لحضرات أعضاء اللجان مابذلوا من جهود موفقة فى إنجاز ماعهد اليهم القيام به على أكمل وجه ، ولحضرات أعضاء هيئة المؤتمر ماشاع بينهم من روح المودة والاخاء والتعاون الوثيق ، وما استقبلوا به عمل اللجان الفنية من حسن تقدير دل عليه إجماعهم على الموافقة على التوصيات والمقرارات النهائية وتكليف الامانة العامة لجامعة الدول العربية إبلاغها لحكومات الدول العربية لتتبناها فيكون ذلك نجاحا عظيما للمؤتمر فى مهمته ، ثم أعلن حضرته انتهاء أعمال المؤتمر الثقافى الأول . وقرار انعقاد المؤتمر الثقافى العربى بمصيف الاسكندرية فى النصف الأول من سبتمبر سنة ١٩٤٨ فقوبل القرار بعاصفة قوية من التصفيق والفرح والابتهاج .

وفى يوم الاربعاء ١٠ - ٩ - ١٩٤٧ كانت حفلة الاختتام الرسمية التى شرفها بحضوره فخامة رئيس الجمهورية ودولة رئيس الوزراء وأصحاب المعالى الوزراء وكبار رجال الدولة وأعيانها وأعضاء الهيئة العامة للمؤتمر ، وقد ألقى فيها حضرة ممثل اللجنة الثقافية العامة لجامعة الدول العربية ، وحضرات رؤساء الوفود الرسمية كلمات طيبة عبروا فيها عما يملأ نفوس المؤتمرين من

غبطة ، وقلوبهم من فرح ومسرة ، وما يجرى على ألسنتهم من شكر حكومة الجمهورية اللبنانية على ما حاطت به المؤتمر من صنوف الرعاية التى هيأت له أسباب النجاح ، ثم ألقى معالى وزير التربية الوطنية كلمة فياضة بأنبل العواطف وأرق الأحاسيس نحو العرب عامة فى أقطارهم الشقيقة ، وممثليهم خاصة فى المؤتمر الثقافى ، وشكر لأعضاء المؤتمر ما غلب عليهم من روح الود والأخاء والتعاون ، مما كلل مهمة المؤتمر بالتوفيق والنجاح .

وكان مسك الختام خطبة قوية ارتجلها دولة رياض بك الصلح ، فكشف بها عما تنطوى عليه نفسه الكبيرة من حب العرب والعروبة ، وتحدث فيها حديث الخبير المجرب عن آلام العرب وآمالهم ، ونبه فيها إلى ما يجب على العرب من استمساك بوحدتهم ، والتفاف حول راية جامعتهم ؛ ليدفعوا عن أوطانهم ما يبيته لها الطامعون والمستعمرون فيعيشوا فى أوطانهم سادة أحرارا ، كما عاش آباؤهم وأجدادهم أعزة كراما .

ثم أعلن اغتباط فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية وحكومته وشعبه بنجاح المؤتمر الثقافى العربى الأول فى مهمته وعد هذا النجاح فخرا جديدا للبنان ، وفألا حسنا ، يدل على يمن الطالع ونجاح الجامعة العربية فى رسالتها وقال : لم تجد الحكومة ما تعبر به عن شعورها وتقديرها لرجال المؤتمر وفرحها بنجاحهم فى مهمتهم غير إعلان إنعام الحكومة بنيشان الاستحقاق اللبنانى على شاعر العروبة وفخر العرب الأستاذ الكبير على بك الجارم والأساتذة احمد بك أمين والدكتور عبد الوهاب بك عزام ، والأمير رئيف أبى اللمع ، وبنيشان المعارف على حضرات رؤساء الوفود الرسمية وسكرتير عام المؤتمر ، ثم بالمدالية الذهبية التذكارية لحضرات أعضاء المؤتمر .

وقد قوبلت الخطبة بفيض دافق من حماسة الحاضرين ، وإعجابهم بدولة الرئيس .

وبذا انتهى الحفل الرسمى لاختتام المؤتمر فى جو مرح كله فرح وبشر وإيناس . وتفرق المجتمعون فى أبهاء الفندق وفنائه يتبادلون التهانى ، ويتنقل بهم دولة رياض بك الصلح يؤانسهم ويحادثهم ، ويتعرف آراءهم ورغباتهم ، ويجيب عن أسئلتهم فى صراحة واستقامة . وأخذت لدولته مع جميع الوفود العربية عدة صور تذكارية ثم حل موعد الغداء الرسمى الذى أقامه القسم الثقافى بجامعة الدول العربية ، وشرفه بإجابة الدعوة إليه دولة رياض بك ومن حضر معه من أصحاب المعالى الوزراء ، وكبار رجال الدولة ، وقد ألقيت فيه عدة خطب وقصائد عبرت عن شكر المؤتمر بنجاح مؤتمرهم وشكرهم للبنان حكومة وشعبا على ما أسدوا إلينا من جليل المكرمات ، وما لقينا فى كنفهم من جميل عناية ، وحسن رعاية ، ومزيد إكرام ، جعلنا آسفين على فراق لبنان ، راجين له وللعروبة فى سائر أقطارها مجدا مؤثلا ، واستقلالا كاملا . وبعد أن انتهى حفل الغداء ظل معنا دولة رياض بك يؤانسنا ويمتعنا بأدبه الرفيع ، وحديثه العذب حتى الأصيل ، فودعنا وداعا كريما ، وودعناه وداعا حارا ، وانطلقت به سيارته فى رعاية الله بين موجة عاتية من الهتاف ، وعاصفة قوية من التصفيق .

ثم عدنا إلى الفندق لنحزم أمتعتنا ، ونشد الرحيل إلى حيث نريد .

## ضيافة الحكومة للمؤتمر

وإنى برغم ميل الأستاذ الكبير رئيس التحرير إلى إيجاز الحديث عن المؤتمر ، ورحلات أعضائه فى هذه العجالة ، وإرجاء التفصيل إلى ما سأنشره بعد عن الرحلة إلى لبنان فى الأعداد التالية وفى كتاب : (عشرة أيام فى لبنان) أرى وفائى يضطرنى إلى الخروج على رغبة الأستاذ الرئيس ، ويلح على فى

الاعتراف بالجميل، ولو بالاشارات العابرة، واللمحات الخاطفة فى وصف موجز للرحلات التى نظمتها لنا الحكومة اللبنانية فى أنحاء لبنان، فكان لها فى نفوسنا أثر خالد سيظل باقيا فيها إلى ما شاء الله إذ لن ننسى يوم الجمعة ٥ من سبتمبر سنة ١٩٤٧ الذى تنازعتنا فيه ثلاث ضيافات كريمات نبيلات، فكنا فيه ضيوفا على معالى وزير التربية الوطنية ومجلس بلدية زحلة ومجلس بلدية بيروت.

وزرنا فى صباحه معرض إنتاج التلميذ اللبنانى بدار مدرسة البنات الثانوية ببيروت، والمستشفى الدولى للأمراض العقلية والعصبية بالعصفورية على بعد خمسة أميال من بيروت، واسترحنا فى ظهره جو وادى البقاع ومناظره البهيجة، ونعمنا بمباهج وادى العرايش، ومفاتن نهر البردونى بجارة الوادى (زحلة) التى استقبلتنا استقبالا ملك علينا زمام نفوسنا، وأكرمت مثوانا بشتى صنوف الاكرام التى يعجز القلم عن وصفها، وإيفائها حقها من الشكر والثناء.

ثم تناولنا فيه غداءنا على موائد معالى وزير التربية الوطنية بفندق قادرى الكبير بزحلة الجميلة الكريمة. ثم زرنا فى أصيله آثار بعلبك الخالدة؛ من معابد وهياكل وصخور صامدة لأحداث الزمان، ساخرة من صنوف الأقدار. وأعجبنا بما فيها من عيون ومنازه متفرقة هنا وهناك. حتى جاء المساء، فرجعنا إلى صوفر؛ إجابة لدعوة بلدية بيروت التى دعتنا إلى مأدبة عشاء، وحفلة ساهرة، أقامتها لنا بفندق صوفر الكبير، فراعنا ما رأينا من موائد، موقرة الظهر بما حملت من صنوف الطعام والفاكهة والحلوى مما كان يكفى خمسة أضعاف عدد المدعوين. ثم تناولنا عشاءنا بين عزف الموسيقى وغناء المغنين، وتبودلت القصائد والخطب من الداعين والمدعوين، وظللنا فى سمر إلى ما بعد منتصف الليل. فغادرنا الفندق ونحن مأخوذون بما قدمت

بلدية بيروت من مظاهر الكرم وروائع التكريم . ثم آوينا إلى مضاجعنا فى الهزيع الأخير من الليل لناخذ قسطا من الراحة يعيننا على استئناف عملنا باللجان فى الصباح .

يوم الأحد ١٩٤٧/٩/٧ م

ولن تغيب عن أذهاننا تلك الصورة التى خلد فيها يوم الأحد ٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٧ حيث كنا فيه ضيوفا على دولة رياض بك الصلح - فقد زرنا فى صباحه معرض الصور والرسوم فى ضهور الشوير ، وأعجبنا بما بلغه الفن فى لبنان من تقدم ونهوض . ثم زرنا فيه متاجر المدينة ومباهجها ومعالمها ومنازهها ، وعدنا ظهرا إلى فندق قاصوف الكبير لنتناول غداءنا على موائد دولة الرئيس العربى الأصيل . رياض بك الصلح فاختلفنا إلى موائد عامرة ، واستمعنا إلى زعيم الأدب الشعبى اللبنانى الأستاذ عمر الزعنى ، يقف بين يدى الرئيس ، وينقد المجتمع والحكام نقدا حرا نزيها فيه مس لطيف لعمل دولة الرئيس ، فلا يضيق به صدرا ، بل تنبسط أسارير وجهه المشرق الصبيح ، ويقهقه طويلا ، ويصفق استحسانا وقبولا للنقد النزيه الشريف .

ثم قصدنا (بكفيا) إجابة لدعوة بلديتها التى دعتنا إلى حضور حفل افتتاح معرض الأزهار والفاكهة برعاية فخامة رئيس الجمهورية وحضور حفل عيد الأزهار والأثمار . فرأينا المعرض قد نسق تنسيقا جميلا ، وعرضت به أنواع فخمة نادرة من الفاكهة اليانعة ، ثم حضرنا موكب عيد الأزهار والأثمار ، الذى نظم تنظيما بديعا فى سيارات مزينة بالأزاهير والرياحين زينة تفتن الناظرين ، ومزدانة بأسراب من الناعمات البيض والغيد الحسان يحملن الأزهار ، وينثرنها على كبار المدعوين والحاضرين فيشتد لهن التصفيق .

يوم الخميس ١٩٤٧/٩/١١ م

وكان عيد الابتهاج بنجاح المؤتمر وآخر أيام الارتحال والزيارات فى

لبنان يوم الخميس الأغر الباهر ١١ من سبتمبر سنة ١٩٤٧ الذى كنا فيه ضيوفا على معالى وزير الخارجية حميد بك فرنجية وآله الغر الميامين فى ( أهدن ) فقد رحلنا من بيروت فى الصباح الباكر إلى الأرز الخالد ، فزرنا فيه مغارة قاديشا ويالها من مغارة عجيبة رهيبة فيها من عمل الطبيعة وسحرها ما هو جدير بالدرس والزيارة . ألم بها ركبنا ساعة ، ثم رحلنا مصعدين فى أعلى قمم الجبال اللبنانية حتى وصلنا الأرز ، فرأينا من شجره ما يبهر الأبصار ويحير العقول ، ووقفنا طويلا أمام شجرة عظيمة من أشجار الأرز يسمونها شجرة لامارتين وعلى جذعها قصيدة منقوشة ، يقال إنه قد أنشدها فى إحدى زياراته لقبر ابنته جوليانا التى توفيت ودفنت بلدة ( بحانا ) بلبنان . ثم دعينا إلى زيارة أهدن . وما أدراك ما أهدن ؟ إنها بلدة عربية عريقة تعتز بعروبتها وعراقتها وفروسيتها ، أنجبت غرا ميامين لهم فى الوطنية قدم راسخة ، وفى الجهاد الوطنى أثر مذكور مشكور هم آل فرنجية الذين يمثلهم نائبهم حميد بك وزير الخارجية اللبنانية .

ولما علموا بوجودنا بلبنان أبوا إلا أن يضيفونا ويسعدونا بزيارة بلدتهم الكريمة ، فدعينا وأجبنا . ورحلنا . فاستقبلنا استقبال الفاتحين . ودخلنا المدينة على حين يقظة من أهلها . فوجدنا شعبا كريما تجمع فى طرقاتها وميادينها . وقد شق لنا طريقا سرنا فيه بين الهتاف والتصفيق وصدح الموسيقى ودق الطبول ولعب الفروسية ثم دعينا إلى نبع ( ماء سركيس ) حيث نظمت لنا الموائد الوطنية فتجلى لنا كرم أسرة فرنجية فيما قدمت لنا من طعام وطنى شهى وماء عذب فرات سائغ للشاربين ، فأكلنا هنيئا وشربنا مريئا بين عزف القيان وأهازيج الحسان الريفيات وأناشيدهن الوطنية ، وفرحهن بضيوف حميد بك فرنجية الماثل فى قلب كل أهدنى وأهدنية .

وقد يزداد بك العجب إذا علمت أن الدعوة وجهت إلينا ، ومعالى حميد

بك بلبنان . وأن الاجابة قد لبيت وحميد بك فى مهمة سياسية وطنية قومية بمجلس الامن بأمريكا . فبالغ أهله وعشيرته فى إكرامنا والحفاوة بنا كأن الداعى ماثل بيننا ولله درهم !! ولله ما فطروا عليه من حب العرب والعروبة.

غادرنا أهل ( أهدن ) الكرام أصيلا ، قاصدين الفيحاء فى أقصى الشمال لنجيب دعوة بلدية طرابلس مهد الوطنية والجهاد والاستبسال وعش العلماء ومنتدى الادباء . فوصلنا المدينة والشمس تنحدر إلى مغربها ، ووصلنا مقر الاحتفال فى كازينو المدينة فشهدنا حفلة نادرة جمعت بين الروح العربية ومظاهر المدنية الغربية . وقد افتن القوم فى تنسيقها ، وأبدعوا فى تنظيمها. وحضرها معالى نائب المدينة محمد بك العبودى وزير المالية . وسعادة المحافظ وكبار رجال الدولة وأعيانها . وتبارى الخطباء والشعراء فى التحية والتكريم ثم دعينا إلى مقصف فاخر حوى مالذ وطاب من الحلوى والفاكهة . وقد انتظمت موائده بين الماء والشجر وتحت أضواء كهربية قد التمع لألاؤها فزاد الحفل حسنا وبهاء ، فأ كنا هانئين بين حلو النغم وجميل الايقاع . ثم استرحنا قليلا وانصرفنا شاكرين بعد أن ودعنا أهل طرابلس وحكامها وأعيانها وداعا حارا ، وكان حفلهم مسك الختام ، ومساؤهم آخر عهدنا بأمسيات لبنان ، الحبيب إلى نفوسنا ، الماثل فى قلوبنا ، العالقة صوره بأذهاننا ، فسبحان من صور وأبدع ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

# أبناء دار العلوم

## يكرمون فى ناديهم ممثلى الدول العربية فى اللجنة الثقافية العامة للجامعة العربية

سعدت مصر فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ بزيارة نخبة ممتازة من صفوة أعلام رجال الأدب والفكر فى الأقطار العربية، جاءوا إليها؛ ليمثلوا دولهم فى الاجتماع العام للجنة الثقافية بالجامعة العربية.

وما علم أبناء دار العلوم بتشريف حضراتهم أرض الكنانة، حتى خفوا إلى لقائهم، والترحيب بقدومهم والحفاوة بهم فى كل مكان حلوا به من أرض مصر؛ ثم قرروا إقامة حفل تعارف وتكريم لحضراتهم بنادى دار العلوم، ودعوا إليه كثيرا من العلماء والأدباء والمربين والصحفيين وقادة الرأى والفكر فى مصر، ليشهدوا حفلا عربيا، يضم إخوة كراما، تباعدت أقطارهم وتقاربت أرواحهم واتحدت أغراضهم وأهدافهم، فاجتمعوا فى صعيد واحد لينظروا، ويقرروا، ثم يعود كل منهم إلى وطنه حاملا مشعل الثقافة القومية العربية، ليشعل به ما أطفأه الاستعمار من أنوار الحضارة العربية والثقافة القومية:

وفى مساء الأربعاء ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ حفل نادى دار العلوم بجمهرة كبيرة من أفاضل العلماء، وكبار الأدباء، وأعلام المربين، ومن حرصوا على إجابة دعوة أبناء دار العلوم ليظفروا بشرف التعرف إلى معشر عربى كريم عزيز على مصر وبنيها، فازدحمت بهم حجرات النادى وأبهاؤه الفسيحة، واستقبلهم الداعون استقبالا كريما، وشاع بين الموجودين بالنادى روح ألفة ومودة، وشملهم فرح وسرور ألفوه فى أيام الأعياد، وأوقات الصفاء.

وكم كان جميلا أن ترى البشر والايناس والفرح والسرور يبدو على قسمات وجوه الحاضرين من كرام المدعوين، وقد تنقل بينهم مؤانسا وملاطفا ومحييا (من كبار الداعين) حضرات الأساتذة سعد بك اللبان، ونجيب بك حتاته

ومحمد بك على مصطفى ، واحمد بك على عباس ، ومنصور بك سليمان ، وعبد الحميد بك حسن ، والدكتور ابراهيم بك سلامه ، وعطيه بك الإبراشى وزكى بك المهندس ، وابراهيم بك مصطفى ، واحمد بك الشايب وغيرهم .

وفى تمام الساعة السابعة كمل حضور حضرات السادة المكرمين من ممثلى الدول العربية فى اللجنة الثقافية وحضرات المدعوين من ممثلى الهيئات السياسية العربية فى مصر ؛ فتقدم حضرة الأستاذ سعد بك اللبان رئيس جماعة دار العلوم ودعا حضراتهم إلى التفضل بتشريفهم البهو الكبير ؛ ليتناولوا الشاى على موائده التى نسقت تنسيقا بديعا ؛ فاختلف إليها المدعوون ، وتصدر المائدة الرئيسية حضرة الأستاذ الرئيس ، وعن يمينه وعن شماله حضرات المحتفى بهم ، وبعد تناول الشاى وقف حضرة رئيس الجماعة ، وألقى خطبة جامعة ، شكر فيها للحاضرين تفضلهم بإجابة دعوة إخوانهم أبناء دار العلوم الذين قصدوا من هذا التكريم توثيق أواصر المحبة والألفة ، والمودة والقربى بين أبناء العروبة فى سائر أقطارها ، والاعتراف بما لقى أبناء دار العلوم فى المؤتمر الثقافى العربى الأول فى لبنان من جميل الرعاية اللبنانية ، وكريم الحفاوة العربية بهم من جميع أعضاء الوفود العربية ثم ألمع فى خطبته إلى تاريخ دار العلوم وبلائها فى خدمة اللغة والأدب خمسة وسبعين عاما من عصر النهضة الحديثة ، ورجا فى النهاية لحضرات الأشقاء الكرام طيب الاقامة ، فقوبلت خطبته بالاستحسان والاعجاب . ثم تلاه الشاعر المبدع الأستاذ محمود غنيم مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف ، فانشد قصيدة عصماء من قصائده العامرة بعنوان « تحية لبنان » ، حيا فيها العروبة وقادتها وأبطالها وعلماءها وأدباءها ، وأثنى على لبنان وأهله بما هم جديرون به من مستطاب الثناء ، وقد استعيد كثير من أبياتها الخالدة التى أشعلت حماسة الحاضرين.

ثم تعاقبت من بعده خطباء وفود الدول العربية ، فارتجل معالى الدكتور

سامى شوكت بك وزير صحة العراق السابق ورئيس البعثة الطبية العراقية خطبة رسم فيها الخطوط الرئيسية لبناء النهضة العربية الحديثة على أسس صحيحة ، ودعائم قوية متينة ، ثم دعا فيها إلى التحرر من قيود الرجعية ، والبعد عن ميوعة التربية المترفة التى لا تكون أما فاضلة ، ولا أبا صالحا ، ولا جنديا شجاعا مقداما ، ولا بطلا مغوارا . وقال إن الأمم العربية لن تبلغ أهدافها ولن تتم سعادتها إلا إذا ارتقى فيها رجل الدين والمرأة رقيا يجعلهما فى مستوى رجل الدين والمرأة فى انجلترا » ، وضرب لذلك أمثلة ، ودلل على صواب رأيه بما عقد من موازنات .

ثم تكلم من بعده المربى العربى الكبير العالم الجليل زائر مصر الكريم حضرة الأستاذ ساطع بك الحصرى ، كلمة موجزة ضمنها أمانيه وآماله للشرق والعرب ، ما تحقق منها ، وما يرجو تحقيقه على يد الوحدة العربية .

ثم قام الخطيب المصقع حضرة الأستاذ الكبير واصف بك البارودى المفتش العام لوزارة التربية الوطنية اللبنانية وعضو اللجنة الثقافية العامة للجامعة العربيه ، فارتجل خطبة قيمة أثنى فيها على أبناء دار العلوم ، وشكر لهم جهودهم الموفقة فى خدمة اللغة والأدب خمسة وسبعين عاما هى الزهرة الناضرة فى عمر النهضة الحديثة ، وتحدث عن أثرهم الصالح فى تعليم الفصحى فى سائر الدول العربية على أسس صحيحة ، وأساليب قويمة ، سهلت على المتعلمين تعلمها ودراستها ؛ فتخرج على أيديهم فى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق والحجاز وحضرموت واليمن والكويت وليبيا ، أساتذة حذقوا اللغة ، وعلموها فى مدارسهم ، ثم أفاض القول فى منزلة اللغة العربية بين اللغات الحية ، ونعى على المولعين بالتقليد الأعمى اتهامهم اللغة العربية بالعقم والصعوبة والجمود ، وعدم صلاحيتها لمسايرة الزمن ، وحاجتها إلى التيسير والتخفيف والتجديد ، فبرأها مما قالوا ، ونزهها عما رموها به ، وعقد بينها وبين الانجليزية والفرنسية موازنة أثبت فيها أن اللغة العربية أغنى اللغات ، وأكثرها دقة وضبطا ،

وأسهلها تعلما ، وأيسرها حفظا ، وأطولها عمرا ، وأبقاها على الزمن . ثم قال ليس فى اللغة العربية صعوبة أو جمود أو عيب ، وإنما العيب فى هؤلاء الأبناء المدللين المترفين الذين يحاولون حذق اللغة ، وتذوق حلاوة أدبها ، دون أن يحملوا أقدامهم مشقة السير إلى غايتهم ، وعقولهم مؤونة التفكر والتفهم والتدبر ، وأنفسهم ذل التعلم وتعب الدرس والتحصيل ، فجوزوا على كسلهم وخمولهم بالحرمان ؛ فتجنوا على اللغة ورموها بما هى منه براء . ثم دعا إلى التجديد فى الوسائل والأساليب ، وطرائق التعليم ومظاهر العرض مع الاحتفاظ بجوهر اللغة سليما ، والاهتمام بها باعتبارها لغة الثقافة القومية فى سائر الأقطار العربية .

ثم شكر فى نهاية خطبته لأبناء دار العلوم كريم دعوتهم التى هيأت له فرصة الاجتماع باخوانه ، والتحدث إليهم بما تجيش به نفسه، وشكر للحاضرين استماعهم وتحيتهم وتشجيعهم وجلس بين دوى تصفيق الاعجاب والاستحسان.

ثم طلب الكلمة الأستاذ محمود العزب موسى المحرر بجريدة الاهرام فقام وعقب على بعض ما جاء بكلمة معالى الدكتور شوكت بك خاصا بالمرأة الشرقية العربية والمرأة الانجليزية منصفا المرأة العربية .

ثم اختتمت الحفلة بكلمة قوية لحضرة النائب المحترم الأستاذ سعد بك اللبان رئيس جماعة دار العلوم شكر فيها لحضرات خطباء وفود الدول العربية تقديرهم السامى لجهود دار العلوم وأبنائها فى خدمة الفصحى والثقافة القومية فى سائر الدول العربية — وشرح فيها فى لباقة بارعة ، وأدب عال رفيع كل ما أشار إليه معالى الدكتور شوكت بك فى خطبته عن رجل الدين والمرأة فى الشرق والاسلام ، وأبان وجه الصواب ، وأعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، فكان الأستاذ الرئيس موفقا فى كلمته كل التوفيق ، ظافرا باستحسان جميع الحاضرين ، واعجاب حضرات ممثلى الدول العربية بما حذق من ضروب الردود البرلمانية الدامغة فى أدب ورقة ولطف .

محمود الخولى

# كلمة سعد بك اللبان

إخوانى :

يرحب بكم أبناء دار العلوم أجمل ترحيب ، ويستقبلونكم فى ناديهم أكرم استقبال ، مبتهجين بلقائكم ، فرحين بهذه الفرصة السعيدة التى أتاحت لهم الاجتماع بصفوة من كرام الأهل والاخوان .

وإنى لسعيد بأن أنوب عنهم فى استقبالكم لا بعبارات الترحيب التقليدية التى تقال فى مثل هذه المناسبات ، ولكن لأقول لكم إنكم فى هذا المكان وفى كل مكان نزلتم فيه بمصر إنما تنزلون منازلكم وتحلون بين أهلكم وإخوانكم ،

فليس المقام إذاً مقام ترحيب مصرى بلبنانى أو سورى أو عراقى ولكنه اجتماع عربى بعربى تربط بينهما الفصحى وتجمعهما العروبة ، فنحن اليوم فى مصر وبالأمس فى لبنان وغدا فى الشام أو الحجاز ليس بيننا ضيف ومضيف فكلنا فى الوطن العربى مواطنون .

إخوانى :

لقد عقدتم بالأمس مؤتمركم الثقافى العربى فى لبنان ومثل دار العلوم فيه فريق من أبنائها فعادوا الينا بأكرم الذكريات يرددونها عما لقوا فى لبنان من كرم أهلها وحسن وفادتهم ، وأطنبوا فى وصف ما لقوامن زملائهم أعضاء الوفود العربية الأخرى وطيب شمائلهم وعادوا من المؤتمر مزودين بالمعارف والعوارف فكانت رحلة مباركة تحققت فيها لأول مرة فوائد السفر الخمس المشهورة. ولقد انتهزوا فرصة وجودكم بمصر ليجددوا بالاجتماع بكم ذكريات الأيام السعيدة التى قضوها معكم فى ربوع لبنان فتفضلتم وحققتم أمنيتهم فكنتم أصحاب الفضل فى الأولى والآخرة ولكم الشكر على ما أسلفتم من مودة وأخلفتم من أخوة ومحبة .

سادتى :

يهمنى فى هذا الاجتماع العربى الصميم أن أتحدث إليكم حديثا موجزاً عن دار العلوم تحقيقا لرغبة بعض الاخوان وجوابا عن الاسئلة الكثيرة التى وجهت لأخواننا هناك عن معهدهم ونوع ثقافتهم .

أنشئت دار العلوم سنة ١٨٧٢ لتخريج مدرس اللغة العربية والدين للمدارس الأميرية واختير للتدريس بها أفضل الأساتذة فى ذلك العهد وتناول التغيير والتعديل منهاجها وطرق التدريس فيها حتى أسفرت تجارب الاساتذة عن برنامج أصبح دستورا للعمل فى هذا المعهد تعاون فى وضعه وإرساء قواعده الرعيل الاول من أساتذة المعهد والطبقة الأولى من خريجيه وجعل فيه الصدارة لعلوم اللغة العربية والدين .

ويتميز العهد الأول لهذا المعهد بما بذله الاساتذة وأبناؤهم من جهد فى وضع أسس الدراسة وإعداد الكتب والمؤلفات وفى تنظيم المواد الدراسية وترتيبها .

فعلوم النحو والصرف والبلاغة ركزت وسهلت واستخلصت تفاصيلها ودقائقها من بين ذلك الجدل الذى امتلأت به صحف الكتب القديمة وطبع تدريسها بطابع عملى تطبيقى جعل التدريب عليها أمراً ميسوراً .

وهذا المجهود الضخم يبدو هينا بجانب ما اضطلعوا به من وضع أسس تاريخ الأدب العربى ومراحله وما تبع ذلك من وضع موازين النقد والموازنة والترتيب والجمع مستعينين فى ذلك بشتات مبعثر فى كتب الأدب والتاريخ حتى أسسوا علما جديدا هو علم تاريخ الأدب العربى الذى احتضنه رجال دار العلوم طبقة بعد طبقة فزادوا فيه ورتبوا أبوابه وساعدهم بعض المتأدبين بالنقل من اللغات الأجنبية والمحاكاة حتى أصبح تاريخ الأدب العربى علما له الصدارة بين العلوم العربية .

أما الأدب العربى وقد خبروا نصوصه بالشرح والتفسير فانى أستطيع أن أقول إن شيوخ دار العلوم هم مستخرجو كنوز هذه اللغة والكاشفون عن

أسرارها فى هذا العهد الاخير .

هكذا تأسس معهد وتأسست معه نهضة فأصبحت دار العلوم مشرق الأدب العربى والثقافة العربية . ثم أدخل على موادها تدريس مادة التربية وأرسلت البعوث من أبنائها إلى فرنسا والمانيا وانجلترى لتعلمها، وبعد عودتهم اشتغلوا بتدريسها فى المدارس المصرية وفى دار العلوم ومن هذا المزيج الأدبى والفلسفى تكون منهج دار العلوم وتكونت ثقافة أبنائه . طبقة بعد طبقة حتى أصبحت أخيرا كلية من كليات جامعة فؤاد الأول ولكنها محتفظة بطابعها الخاص .

ولقد تخرج فيها منذ إنشائها حوالى أربعة آلاف أستاذ شغلوا مناصب التدريس والتفتيش وغيرها من المناصب التعليمية بوزارة المعارف .

ولذلك يمكن القول بكل اطمئنان أنه مامن متأدب فى مصر خلال خمسة وسبعين عاما هى عمر النهضة الأدبية الحديثة إلا كانت دار العلوم مصدر ثقافته الأدبية بالذات أو بالواسطة .

وإننى أستطيع أن أقرر لكم وأنا مطمئن أيضا أن النهضة الأدبية والتعليمية مدينة بالكثير لدار العلوم، فأبناؤها فى الجامعة هم أساطين التدريس الادبى بها وهؤلاء الذين تولوا عمادة الأدب وزعامته بالجامعة هم من تلاميذ حفنى ناصف وسلطان محمد والخضرى والمهدى بالجامعة القديمة أو من تلاميذ المهدى والخضرى وحسن منصور وعاطف بركات بمدرسة القضاء .

تلك ياسادة صورة موجزة عن دار العلوم فى مصر، أما فى الشرق العربى والاسلامى فقد خرجت له من أبنائها حوالى المائة . من لبنان وفلسطين . وشرق الأردن . وسوريا . والعراق . والهند والملايو . وجاوه . وسومطرة والصين . وأندونوسيا . وتونس . ومراكش . وطرابلس الغرب، وكانوا هم وإخوانهم من طلبة هذه البلاد يسمون الطلبة الغرباء فلما أصبح زميلنا محمد عبد الجواد رائدهم سماهم الطلبة الأقرباء وأصبحت هذه التسمية تطلق على

جميع أبناء الأمم الشقيقة بمصر .

هذه أيها الاخوان صورة موجزة عن المعهد الذى أسهم بأكبر نصيب فى النهضة الأدبية، ويكفيه فخراً شهادة الأستاذ الامام فى بعض تقاريره حيث قال .

«إن اللغة العربية تموت فى كل مكان وتحيا فى دار العلوم» — ودار العلوم وإن كان معهدا ساير التطور العلمى فى البلاد وأخذ بكل مستحدث من وسائل الثقافة الحديثة حتى أصبح بالفعل كلية من كليات الجامعة - به عيب متأصل بقى طابعه وطابع خريجيه ومدرسيه وأظنه سيظل طابعهم جامعيين، هو أن كثرة ما كشف لهم البحث عن كنوز اللغة وما تملك من ثروة الالفاظ والاساليب قد ورثهم عتوا وتجبرا فى الدفاع عنها والغيرة عليها ، فهم لا يترخصون ولا يتزيدون . وما حاجتهم إلى الزيف وخزانتهم تغص بالجواهر؟ ولم ينزلون إلى العامية وفى أساليب الفصحى ومراتب التعبير بها مع السلامة والسهولة ما يعصم من الهبوط إلى هذا الدرك؟ ولم يسكنون آخر الكلم ويخالفون قوانين الاعراب وهم يرون أن قوانينه بالتيسير والتبسيط تضمن لكل متكلم عربى أن تجرى على لسانه حركات الاعراب صحيحة .

وبعد فهذه دار العلوم العربية ترحب بأبناء العروبة فى دارهم متمنية لهم طيب الاقامة . والله أسأل أن يوفقنا لخدمة الفصحى ويشد فى العروبة أزرنا ويمنحنا الرشد والسداد والتوفيق آمين ؟

---

## تحية لبنان

### للأستاذ الأديب محمود غنيم

قم سائل القوم من فى القوم رضوان — للخلد صفو وصفو الخلد لبنان

الله صور لبنانا فأبدعه — كما تأنق فى التمثال فنان

يا جيرة الأرز إن الأرز يبلغ ما — لا يبلغ الطلح من نفسى ولا البان

هى العروبة أنتم فى ذؤابتها — مذ قام حول تخوم الروم غسان

ملك بناه أواليكم ووطده  بالوحى أبناء مروان ومروان
يا جيرة الأرز ما أنتم لعمرى فى  مصر ولا نحن فى لبنان ضيفان
فى شاطىء النيل أهلوكم وموطنكم  وفى الشآم لنا أهل وأوطان
محت تخوم بينها الضاد فاتحدت  أفطارهم فهمو فى الضاد إخوان
إن تسأل العربى الحر عن وطن  أو ملة قال : إن الجد عدنان
يا جيرة الأرز لن ننسى أياديكم  وليس للفضل عند الحر نسيان
إن الصحافة أنتم أس نهضتها  لولا كمو لم تقم للصحف عمدان
لكم على النيل أهرام دعامتها  سحر البلاغة لا صخر وصفوان
إن كان للضاد آداب تتيه بها  فان فارسها السباق « زيدان »(١)
للضاد شاد اليسوعيون مكتبة  لم تحوها زمن المأمون بغدان
هذى معاجمهم هل فى معاجمهم  إلا عقيق من الفصحى ومرجان
اليازجيون راض الشعر رائضهم  من بعد ما جمحت للشعر أوزان
بفضلهم عاد للشهباء أحمدها  بل أحمداها وزار الشام حسان (٢)
لولا غطارف فى الدنيا الجديدة ما  أصغت إلى لغة الأعراب آذان
هم فاتحون وإن لم يشهروا قضبا  أو تحترق بلهيب النار أبدان

***

لما تبلج عصر النور كان لكم  سبق إلى خدمة الفصحى وإمعان
جريتمو وجرت مصر كأنكما  طرفان ضمهما للسبق ميدان
وحسب مصر إذا عدت مفاخرها  روض من العلم والآداب فينان
دار العلوم وما دار العلوم سوى  عقد تتيه به الفصحى وتزدان
للضاد فى مصر بل فى الشرق أجمعه  حصن بنوها له أس وأركان
إن أنجبت وائل سحبان كان لها  من بينهم ألف سحبان وسحبان
تغلغلوا فى ربوع الشرق وانتشروا  كأنهم صيب فى الشرق هتان
كأنما الضاد دين ينشرون له  دعوى . وبعض اللغى للناس أديان

(١) يشير إلى « جورجي زيدان » أول من ألف في مادة أدب اللغة العربية و بوبها تبويبا علميا على النهج الحديث .

(٢) يعنى بالاحمدين أبا الطيب المتنبي وأبا العلاء المعرى وكلاهما يدعى أحمد

رسل الثقافة مرحى . نحن فى زمن أمضى سلاح به علم وعرفان
إن وحدت بين أقوام ثقافتهم فلن تفرق ذات البين بلدان
ليس التكاتف بالأكتاف مظهره لكنما هو إحساس ووجدان
إنى أحس وحسى ليس يكذبنى مستقبلا ملؤه عز وسلطان
ماضى العروبة يخطو نحو حاضرها لى بالعروبة والرحمن إيمان
أبناء يعرب إن سادوا الأنام فقد عاد الأنام رعاياهم كما كانوا
أطل فى الأفق نجم كنت أرقبه كرت عليه الليالى وهو وسنان
هذى خيول الصلاحيين قد زحفت كأنها ـ وهى تطوى الأرض ـ عقبان
مهلا فلسطين قد ناديت معتصما جوابه مشرفيات وخرصان[1]
الله يعلم أن السلم غايتنا ونحن من دوحه ظل وأغصان
ما أبعد البغى عنا إننا نفر إلى العلا لا الدم الفوار ظمآن
لكنه الحق لم تنهض به حجج فما له غير حد السيف برهان
الحق لؤلؤة غاصت ببحر دم ... لها شراكان أسطول وفرسان
لا هم ان حماة الأمن قد جحدوا مصراً ولو أيدتها قوة دانوا
ترنح النيل لما صاح من بردى صوت يعاونه والحر معوان
صوت من الخلد علوى الصدى غرد مستعذب كأذان الفجر رنان
مقالة سمعتها مصر خاشعة كأنما هى إنجيل وقرآن
أدلى بها فارس بلقاء سافرة فاهتز من حصن الاستعمار بنيان
ان الألى بشروا بالسلم قد نسجت من صنع أيديهمو للسلم أكفان
عهد المحيط هوى بعد الحروب الى قاع المحيط وللأمواج طغيان
هل الشعوب ـ كما قالوا ـ سواسية أم فى الشعوب سراحين وقطعان؟
ليس السلام بخفاق له علم ما دام بين الورى شاء وذؤبان

---

(١) يشير إلى حادثة فتح عمورية الذى قام به المعتصم على إثر أسر الروم لامرأة من نساء المسلمين واستغاثتها به قائلة ! « وامعتصماه »

# الفهرس